

أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ
بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنْ (القرآن الحكيم)





مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية : دارالعلوم
ديوبند ، يوبي ، الهند

ISSN 2347-8950

العـــــدد : ٣ ، السنــــــة : ٤٣

ربيع الأول ١٤٤٠هـ ، نوفمبر – ديسمبر ٢٠١٨م

الاشتراكات

- ثمن النسخة : ٣٠ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

- في الهند : ٣٠٠ روبية هندية
- وفي خارج الهند للأفراد : ٦٠ دولاراً
- وللمؤسسات الحكومية : ٨٠ دولاراً

عنوان المجلة على الانترنت

Web : http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine

طالعها الآن

البريد الالكتروني

E-mail : info@darululoom-deoband.com

المراسلات

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند ، يوبي (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor
AL – DAIE
Arabic Islamic Monthly
Darul – Uloom,
Deoband – 247554
(U.P.) INDIA

الهاتف والفاكس

Ph. : (00-91-1336) 222429
Fax : (00-91-1336) 222768

المُحتَويات

كلمة المحرر

صرخات تذهب مهب الريح

يشهد مختلف مناطق الهند ظاهرةً متنامية من القتل بأيدي الجموع الغاضبة بتهمة قتل البقرة أو أكل لحمها أوحمله أو نقله من غير رادع ولا رقيب. و ذلك بعد أن شددت المحكمة العليا النكير على الحكومة المركزية والحكومات المحلية، وصب جام غضبها عليها، وكلفتها سنَّ قانون رادع فاعل بأسرع وقت ممكن يعين على التغلب على مثل هذه الظاهرة الشنيعة التي عادت وصمةَ عار على جبين الهند الديموقراطية وعلى جبين الإنسانية؛ إذ لم تتخذ الحكومات إجراءات صارمة ضد الضالعين في قضايا القتل على أيدي الحشود. وأدلى رئيس الوزراء الهندي في البرلمان بيانًا أدان فيه أمثالَ هذه الظاهرة واعتبرها منافيةً للمبادئ الإنسانية الأساسية.

وبعدَ النكير اللاذع من المحكمة العليا الهندية ونصائح من رئيس الوزراء الهندي في البرلمان تفاءل كثير من المسلمين والشعب السليم القلب أنه لن يهدر– بعد اليوم – دمٌ إنسان بغض النظر عن انتمائه الديني والعرقي من غير أن يأتي ذنبًا يوجب قتله، و أن الضالعين في هذه القضايا سيَرْعَوُوْنَ عن فعلاتهم الشنيعة؛ ولكن سرعان ما ذهب ذلك مهب الريح؛ إذ تعرض شاب مسلم اسمه «أكبر» للضرب المبرح حتى الموت بأيدي الحشود الغاضبة في ولاية «راجستهان» بتمهة تهريب البقرة.

رغم هذه الأوضاع المزرية التي تعيشها البلاد، والتي تُقِضُّ مضاجع المسلمين والشعب الحريص على رقي البلاد وأمنها ورخائها وازدهارها لايرعوي بعض القيادات السياسية عن الوقوف جهرًا و علنًا بجانب المتهمين والمدانين في هذه الجرائم ضد الإنسانية، وعن مباركة هذه الأعمال البشعة و الاحتفاء والترحيب بهم؛ بل تَعُدُّ ذلك دليلًا صارخًا على شعبية الحزب الذي ينتمي إليه، وبارقةَ أمل في كسب أكبر عدد من أصوات الناخبين في الانتخابات العامة المزمع عقدها في السنة القادمة.

والحق أن تقديس البقرة المزعوم، وقتل المسلمين والإساءة ومد اللسان واليد إليهم، وتشجيع الضالعين في ذلك؛ كل ذلك أصبح مطيةً ذلولًا لمن أراد علوًا في الأرض وفسادًا إلى تحقيق النوايا الخبيثة من التسلق إلى الوظائف والمناصب، والتوصل إلى الرتب، والتلاعب بالعواطف.

وهذه الظاهرة مرشحة للتفاقم في ظل غياب الوعي الإنساني في هؤلاء الوالغين فيها، وعدم جدية الحكومات في سن قانون صارم رادع، واتخاذ الخطوات اللازمة في سبيل تنفيذه، في الوقت الذي نُفِخَ فيه في صور الانتخابات الإقليمية في بعض الولايات، والانتخابات العامة في البلاد المزمع عقدها في العام القابل وأطلقت الأحزاب السياسية طبولها وأبواقها الناعقة المليئة بكل ألوان الدهاء والفتنة. [التحرير]

(تحريرًا في الساعة العاشرة والنصف من يوم الجمعة: ١٧/المحرم الحرام ١٤٤٠هـ=٢٨/سبتمبر ٢٠١٨م).

الهند تُلْغِي قانونَ تجريم ممارسة المثلية الجنسية

في قرار تاريخي لن تنساه الأيام — في إطار سلبيّ للغاية — أصدرته المحكمة العليا الهندية يوم الخميس: ٢٥/ذوالحجة ١٤٣٩هـ الموافق ٦/سبتمبر ٢٠١٨م، ألْغَتْ الهندُ قانونَ تجريم ممارسة المثلية الجنسيّة الذي كان يُعَاقِب عليها بالسجن المُؤَبَّد، والذي كان قد أَيَّدَه القرار الذي أصدرته المحكمة العالية بدهلي عام ٢٠١٣م.

وقد ظلّ هذا القانون المعروف بـ«قانون الجزاء الهندي» – الذي أملى مشروعَه عام ١٨٦١م «اللورد ماكولي» Lord Mikaela (١٨٠٠-١٨٥٩م) السياسي المؤرخ الشاعر البريطاني – نافذَ المفعول لعام ٢٠٠١م دونما معارضة من الشعب، وفي هذا العام رفعت لأول مرة «مؤسسة ناز» عريضةَ شكوىً ضد القانون إلى المحكمة العالية بدهلي قائله فيها: إن القانون يُضَادُّ الحريّةَ الشخصيةَ؛ لأن ممارسةَ المثلية إنما تتم عن طريق تراضي شخصين بالغين. وطالبت العريضةُ المحكمة بإلغاء البند ٣٧٧ من القانون الذي كان يقضي بمعاقبة المثليين بزجهم في السجن لمدة ستة شهور إلى مدة ثلاث سنوات. وكان القانون الذي عمره ١٦٧ عامًا ينص على أن الجماع الجسدي المتناقض مع الفطرة مع أي رجل أو امرأة أو حيوان جريمةٌ منافيةٌ للفطرة.

وظَلَّ القانونُ جزءًا من الدستور الهندي حتى بعد استقلال البلاد من يد الاستعمار البريطاني الذي وَضَعَ القانونَ؛ بل إن الهند المستقلة شَدَّدَتِ القانونَ إذ قَرَّرَت معاقبة المثليين بالسجن لعشر سنوات على الأقل وبالسجن المؤبد على الأكثر.

وتقول المعلومات في هذا الصدد: إن الهند ظلت تُعَاقِب المثليين بوضعهم في منفى الماء الأسود أي في السجن الشمسي الكائن بجُزُرِ «إندومان و نيكوبار» — وهي مجموعتان من الجزر في شرق خليج البنغال، يبلغ عدد سكانها ٢٧٧٩٨٧ نسمة، وتُشَكِّل أرضًا متحدةً مع الهند، وتُغَطِّي مساحةً مقدارُها ٨٢٤٩ كم٢، وتُعَدُّ العاصمةُ «بورت بلير» المدينةَ الوحيدةَ فيها. ومجموعةُ جزر «إندومان» تتألف من ٢٠٤ جزيرة. ومجموعة جزر «نيكوبار» تتألف من ١٩ جزيرة — .

كما تُؤَكِّد المعلومات أنّ المحكمةَ العاليةَ بدهلي ظَلَّتْ ترفض العريضةَ المرفوعةَ من «مؤسسة ناز» لعام ٢٠٠٤م معتبرةً إيّاها غيرَ جديرة بالنظر والدراسة؛ لكنها ثنَتْ فأصدرت في يوليو ٢٠٠٩م قرارًا لصالح المؤسسة قائلةً: إن تجريم المثليّة يُضَادُّ مبدأَ المساواة. ثم رُفِعَت القضيةُ إلى المحكمة العليا الهندية التي مَقَرُّها بدهلي العاصمة، التي درست

القضيةَ وأصدرت يوم الثلاثاء ١١/سبتمبر ٢٠١٣م (٤/ذوالقعدة ١٤٣٤هـ) القرار القاضي بتجريم المثلية، ثم تقدم بعضُ المثليين والنشطاء المناهضين للقانون ٣٧٧ إلى المحكمة العليا بعريضة بعنوان «التماس تصحيحي» (وهو طلب رسميّ لمراجعة قرار محكمة سابق باعتباره «إخفاقًا في العدالة») تَحَدَّوْا فيها القرارَ وطعنوا عليه، فنظرت فيها المحكمةُ وأصدرت القرارَ المذكورَ في بداية هذا المقال الذي قالت فيه: إن العمل بتجريم المثلية يتصادم مع الحرية الشخصية، وأن المادة القانونية التي تعود إلى الحقبة الاستعمارية البريطانية غير شرعيّة، وقررت المحكمة في حكمها — الذي صَدَرَ بعد نقاشات طويلة ومعركة قضائية امْتَدَّتْ على ما يقارب العشرين عامًا، والذي فَصَّلَ في شأنه الحزبُ القوميُّ الهندوسيُّ اليميني الذي يُسَيْطِر على الحكومة المركزيّة والحكومات الإقليميّة في كثير من الولايات الهندية، أن يَنْأَىٰ بنفسه عن النقاشات وأن يترك الأمرَ للقضاء — أن التمييز على أساس الميول الجنسية انتهاكٌ أساسيٌّ للحقوق.

وكان من الطبيعيّ أن يطير المثليون في البلاد فَرَحًا، ويهتفوا خارجَ المحكمة إثر صدور القرار، وينهمروا بكاءً من شدّة الفَرَح، الذي لم يسيطروا من أجله على أعصابهم.

وفي الجانب الآخر أَبْدَىٰ مُعْظَمُ المواطنين المحافظين الملتزمين من ذوي الجدية أسفَهم البالغَ تجاه هذا القرار وتَلَقَّوه ببالغ الحزن والأسى، واعتبروا هذه الخطوةَ القضائيةَ منعطفًا خطيرًا في هذه البلاد ذات العراقة الدينية والقيم الخلقية التي ظَلَّ يلتزمها الشعبُ على اختلاف الديانات والأعراق والتوجهات. ويرجعُ أسفُهم إلى أن هذا الحكمَ القضائيَّ الأخيرَ الصادرَ من أعلى محكمة في البلاد يُعَدُّ الآن نهائيًّا في قضية المثلية؛ حيث لا يمكن الطعن عليه، ولذلك يُمَثِّل هو انتصارًا كبيرًا لمجتمع المثليين في الهند، وتنبع أهميةُ الحكم من أنه صَدَرَ من مقعد قضائي مُكَوَّن من خمسة قضاة وبإجماعهم على الحكم، والمقعدُ رَأَسَه رئيسُ المحكمة العليا «ديباك ميسرا». وصَرَّح منطوقُ الحكم بأن تجريم الجماع الجسدي أمرٌ غير منطقي، وتَعَسُّفيّ وغير دستوريّ بالمرة، وسَمَحَ الحكمُ بممارسة المثليّة الجنسيّة بالتراضي بين البالغين بشكل غير علنيّ.

* * *

ظلت الهندُ على علاتها من الدول المحافظة على مستوى العالم؛ لأن مواطنيها رغم توجهاتهم الدينية المختلفة ظَلُّوا محافظين على الأخلاق والقيم الدينية، رافضين كلَّ توجّه يتصادم مع عاداتهم وتقاليديهم الشرقيّة التي تختلف عن الحضارة الغربية الإباحيّة.

وظَلَّتِ الهندُ تُصَوِّت في الأمم المتحدة ضدَّ القرار الذي كانت هي تتصدى لإصداره لصالح المثليين على دعم وضغط من الدول الغربية وأمريكا التي سَعَتْ جهدَها لتسمح بممارسة المثلية والزَّوَاج المثلي في الإطار الشرعي القضائي لديها؛ ولكنها – الهند – في الجولة الأخيرة انهارت لديها وقَرَّرَتْ أن تكون واقفةً في صف الدول المتقدمة المتنورة المنفتحة المتماشية مع الركب الحضاري؛ بخُطًى حثيثة فلا يبقى

لدى العالم مجالٌ لتصنيفها أبدًا كدولة رجعيّة، من ثم نَـأَتِ الحكومـةُ الهنديـةُ بنفسها عـن النقاشـات التـي جـرت في شـأن قـضية المثليـة الجنـسيّة في الإطـار القضائي أو خارجه، ولم تنصب محاميًا يُدْلِي بدلوه في النقاشـات، ويـدافع عـن المنـاوئين للمثليّـة الـذين لايزالون يُشَكِّلُون أغلبيّةً ساحقةً في البلاد.

عـلى حـين أن هنـاك ٧٦ دولـةً مـن دول العـالم لاتـزال تُجَرِّم المثليّـةَ وأن ٢٥ منهـاهي التـي تـسمح بممارسة المثليّة قانونيًّا، ومن بينها دولٌ تسمح بالزَّوَاج المـثليّ كـذلك؛ فمعظـمُ الـدول في العـالم إنـما قـررت لتتماشـى مـع الطبيعـة والقـيم الإنـسانية ولم تَـتَرَاءَ أن تواكــب الــدولَ التــي قَــرَّرَتْ أن تختــار «تنــوّرًا أكثـر»و«تحـضرًا أقـوى» بالـسماح للمثليـين أن يُـشْبِعوا هوايتهم غير الطبيعية المتمثلة في ممارسة المثلية الجنسية.

وإذا وضعنا في الاعتبار أن الدول الأعضاء في الأمـم المتحـدة يقـارب عـددُها مئتـين، ولم يُـصَوِّت منهـافي مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في ١٧/يونيو ٢٠١١م لصالح المثليين إلا ٢٣ منهـا، وصَـوَّتَت ١٩ منهـا ضـدّهم، وامتنـع ٣ دول عـن التصويت، ولم يحضر في إجراءات التصويت إلا ٤٣ دولـة، مـن الـدول الأعضاء في الأمـم المتحدة البالغ عددُها نحو ٢٠٠ دولة.

والسؤال الـذي يطرح نفسَه بهذه المناسبة هـو هــل يجـوز للمحــاكم ودور القــضاء – مـع كــل الاعتراف بمكانتها واحترام ما تتمتع بـه من المنزلة الاجتماعيـة والـشعبية والرسـميّة – أن تخـرق القـيمَ الخلقيّةَ والآدابَ الإنسانيّةَ التي بدونها لايعود هناك فـرق بـين الإنـسان والبهـائم. إن تجريـد القـوانين مـن تلـك القـيم والآداب يُـشَكِّل خطـرًا عـلى الآدميّـة ويُؤَدِّي حتمًا إلى دمار الإنسانية.

❊ ❊ ❊

لقــد أَكَّــدَتِ الأرقــامُ والإحــصائيّاتُ أن المجتمعات البشرية التي مارست «الشذوذ الجنسي» – بــالتعبير العــربي الإســلامي – أو «المثليــة» (Homosexuality) – بـالتعبير المعــاصر – لقيــت الــدمارَ الخلقــي والــصحي، ووَاجَهَــتْ مفاســدَ وسوءاتٍ حضاريّةً لا تُحْصَىٰ، وأمراضًا تَسْتَعْصِي على العـلاج أو لا تقبـل العـلاجَ مطلقًـا، ومُعْظَـمُ هـذه الأمراضِ مُعْدِيَةٌ تَتَفَشَّىٰ من شخص لآخر وتصيب الأَصِحَّاءَ من المرضى بسرعة غريبة، وصارت هي مُشْكِلَةَ العصر التي تَشْغُلُ بالَ العالم اليومَ.

فقد أَظْهَرَتْ عِدَّةُ دراسات علاقةً مُبَاشِرَةً بين ممارسة المثليّة الجنسية والإصابة باضطرابات نفسية (Psycopathy)، منهـا الدراسـة التـي نُـشِرَتْ عـام ٢٠٠١م والتي قام بها فريقٌ من الأَطِبَّاءِ الهولنديين، حيــث أَكَّــدَت – الدراســة – أن المثليــين يُـصَابُون بالاضـطرابات المِزَاجِيَّـة بمُعَـدَّل ٢,٥٪ مـرة عـن غـيرهم مـن الأسـوياء، كـما أَظْهَـرَتْ دراسـةٌ أخـرى ارتفـاعَ مُعَـدَّلَاتِ الانتحـار بيـنهم بالمقارنـة بـأقرانهم الأسوياء.

الجدير بالذكر أن الدول الغربيّة التي تتسابق دائما إلى كل مَفْسَدَةٍ كانت هي السابقة إلى إضفاء الشرعية على علاقات المثليين جنسيًّا. وذلك عام ١٩٨٩م، كما كانـت «هولنـدا» أول دولـة سَـمَحَتْ بـزَوَاج المثليـين

جنسيًّا بشكل قانوني. وذلك عام ٢٠٠١م، وتَلَتْها «بلجيكا» عام ٢٠٠٣م، ثم تتابعت كثير من الدول الغربيّة على هذا الطريق الخَطِر.

ويجدر بالذكر أن مدينة «تل أبيب» الإسرائيلية تُعْتَبَرُ قبلةً للمثليين في العالم؛ إذ تَصَدَّرَتْ قائمةَ المدن الأكثر جاذبيةً للسُّيَّاح المثليين عن عام ٢٠١١م؛ حيث تُضَيِّف المدينةُ سنويًّا مسيرةً لهؤلاء يُطْلِقُون عليها «مسيرةَ الفخر». وقد بلغ عددُ المشاركين فيها في عام ٢٠١٥م ٥٠٠٠ شخص. وفي بداية يونيو ٢٠١٦م خرج عشراتُ الآلاف من المثليين والمثليات الإسرائيليين وبعض الأجانب من المثليين في مسيرة حاشدة بمدينة «تل أبيب» للتضامن مع ما أَسْمَوْه «حقوق المثليين».

وأَكَّدَتْ دراساتٌ عالميّة كثيرةٌ العلاقةَ المُبَاشِرَةَ بين المثليّة الجنسية وبين انتشار مرض «الزهري» (Syphilis) والأمراض المتنقلة جنسيًّا، فقد أَظْهَرَتْ دراساتٌ أجراها مركزُ مكافحة الأمراض في الولايات المتحدة في عام ٢٠١٢م أن الذكور الذين يمارسون علاقاتٍ مثليّةً يُشَكِّلُون ٧٥٪ من المصابين بمرض «الزهري»؛ حيث إن ذوي العلاقات السويّة لا يُصَابُون به إلا بنسبة ٢٥٪ بالقياس إلى المثليين.

وينتشر بين المثليين «الفيروس الحليمي البشري» ومضاعفاته بنحو ملموس بمعدل ١٧٪ مرة بالقياس إلى الرجال الأسوياء. وذلك وفقًا لمركز مكافحة الأمراض بالولايات المتحدة. والفيروسُ الحليميُّ البشريُّ (Human Papilloma virus) مجموعةٌ متنوعةٌ من الفيروسات التي تلحق بال «D. N. A.» والتي تُعْدِي الجلدَ والأغشيةَ المُخَاطِيَّةَ للإنسان. وهناك أكثر من ١٠٠ نوع من فيروس الورم الحليمي البشري.

كما أن المثليين يصابون بأخطر الأمراض العصرية، وهو «الإيدز» «AIDS» — وهو مرض يصيب الجهازَ المَنَاعِيَّ البشريَّ ويسببه فيروسُ نقصِ المناعةِ البشريّة الذي يُعْرَفُ بـ«HIV» — حيث إن عدد المثليين في العالم حسب الإحصائية الأخيرة لا يتجاوز نسبة ٢٪ من إجمالي عدد السكان؛ ولكنهم يُشَكِّلُون ما يصل إلى ثلثي عدد المصابين بالإيدز، فقد أشار التقريرُ القوميُّ لمكافحة الإيدز بالولايات المتحدة أن هناك زيادة في معدل الإصابة بالإيدز لدى الذكور المثليين تصل إلى ١٢٪.

وأكد تقرير لمنظمة الصحة العالمية عام ٢٠١٤م أن معدلات الإصابة بفيروس الإيدز تزيد بين المثليين ١٩ مرة مقارنةً بالأشخاص الآخرين.

وينتشر بين المثليين «الفيروس الكبدي ب» Hepatitis B Virus — وهو الفيروس الذي يُسَبِّب التهابًا في الكبد، ويصل هذا الفيروس إلى الجسم عن طريق الدم أو السائل المنوي – فتشير بعضُ الدراسات الغربية أن الذكور المثليين يشكلون ٢٠٪ من إجمالي المرضى المصابين بـ«الفيروس الكبدي ب» في الولايات المتحدة.

وكذلك نسبةُ التدخينِ وتناولُ الكحوليات تزيد عند المثليين عن باقي الذكور الأسوياء؛ فقد صَرَّحَت المؤسسة الوطنية للصحة بالمملكة المتحدة أن الذكور المثليين ينتشر بينهم التدخينُ وتناولُ

الكحوليات بمُعَدَّل أكبر من باقي الذكور.

وأَكَّـدَتْ مُنَظَّمَـةُ الـصحة العالميـة أن الـشُّوَّاذَ جنسيًّا – المثليين – يُشَكِّلُون نسبةَ ٨٠٪ من مرضى الاضـطرابات النفسيّة الحـادة، بالإضـافة إلى إصـابة ١٥٪ مـــنهم بـــأعراض مرضـــية بالمُتَـــدَثِّرات (الكلاميـديا Chlamydia) وهـو داء مُعْـدٍ بَكْتِـيرِيٌّ منقول جنسيًّا ولاسيّما بممارسة المثليّة الجنسيّة. وقد عُدَّ داءُ المتدثرات من أكثر الأمراض المنقولة جنسيًّا انتشارًا في العالم؛ حيثُ قُدِّرَت حالاتُ الإصابة في عـام ٢٠١٣م بحـدود ١٤١ مليـون حالـة في العـالم، منها ١,٤ مليون حالة سُجِّلَت في الولايات المتحدة وحـدها. وذلـك في عـام ٢٠١٤م، وكانـت أغلـب حـالات الإصابة بين عمر ١٥ و ٢٥ سنة. وفي عام ٢٠١٣م فقـط أسـفرت تلـك الأمـراض عـن مقتـل حوالي ١,١٠٠ شخص.

وذكرت منظمة الصحة العالمية أن ثلث الشُّوَّاذ جنسيًّا مصابون بفيروس الهربس (Herpes Virus) وهـو مـرض يعني إصـابةً فيروسيّة متكـررة تـصيب الجلـدَ والأعـضاءَ التناسـليّةَ بالتقرحـات إلى جانـب تَقَرُّحَـات حـولَ الفـم أو الوجـه. والمـرضُ سـببُه الاتـصال الجنـسي غـير الطبيعـي – أي عـن طريـق المثلية – .

وصَرَّحَت المراكز الصحية العالمية أن المثليين يُصَابُون بـسرطان الـشرج الـذي يـرتبط باسـتخدام بعض المُزَلِّقَات من أجل تسهيل الممارسة الجنسية، ويُسَمَّى هذا المرض بالإنجليزية بـ«Lubricants».

كـما يـصابون بمـرض كـابوسي خبيـث اسـمه «سـاركوما كـابوسي» (Kaposi Sarcoma) لأن المرض يرتبط بالمُخَدِّرَات التي يستخدمها المثليون لاسـترخاء عـضلة الـشرج. وهـو مـن الأمـراض المصاحبة للإيدز كما أنه مرضٌ جِهَازِيٌّ مُصَاحِبٌ لآفات جلدية، والمرضُ يُؤَثِّر على كل من الجلد، والفم، والجهاز الهضميّ، والجهاز التنفّسي. وأَكَّدَتِ الدراساتُ الطِّبِّيَّة أن هذا المرَض ينتقل من شخص لآخر عـن طريـق اللعاب والتقبيل، وأن مُعَـدَّلَات الإصابة به ترتفع بين المثليين.

على كل أشار الباحثون على مستوى العالم أن المثليـين يَتَعَرَّضُـون لجميـع الأمـراض الخطـيرة عـلى المستوى العقليّ والمستوى الجسميَ. وهو ما يدعو للتوقـف حـتمًا عـن هـذه الممارسـة الخبيثـة المنافيـة للفطرة.

* * *

أما المسلمون فيكفيهم الكتابُ والسنّةُ اللذان شَدَّدَا العقوبةَ على المثليين اللوطيين الشاذّين جنسيًّا، بنحو يرتدع عن هذه الممارسة الخبيثة كلُّ من يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نبيًّا بمجرد العلم به والاطِّلاع عليه، فقد رُوِيَ عن أبي هريرة –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «لَعَـنَ اللهُ سـبعةً مـن خلقـه مـن فـوق سـبع سماواته» – و رَدَّدَ اللعنةَ على واحد منهم ثلاثًا ولعن كلَّ واحد منهم لعنةً تكفيه – فقال: ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط. ملعونٌ من ذَبَحَ لغير الله، ملعونٌ من أتى شيئًا من البهائم، ملعونٌ

من عَقَّ والديه، ملعونٌ من جَمَعَ بين امرأة وابنتها، ملعونٌ من غَيَّرَ حدودَ الأرض، ملعونٌ مَنِ ادَّعَى إلى غير مواليه» (الطبراني في الأوسط ٨٤٩٧).

وعنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

«أربعةٌ يُصْبِحُون في غَضَبِ الله ويُمْسُون في سَخَطِ الله». قلتُ: من هم يا رسول الله؟. قال: «المتشبهون من الرجال بالنساء؛ والمتشبهات من النساء بالرجال؛ والذي يأتي البهيمة؛ والذي يأتي الرجالَ» (الطبراني في الأوسط ٦٨٥٨).

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لاينظر اللهُ إلى رجل أتى رجلًا أو امرأةً في دبرها» (الترمذي:١١٦٥؛ والنسائي: ٨٩٥٢؛ وابن حبان: ٤٤١٧).

وقد تَنَبَّأَ النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإباحة المثلية الجنسيّة في آخر الزمان وبيّن أن الرجال سيكتفون بالرجال وأن النساء سيكتفين بالنساء، فعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

«إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء» (الطبراني: ٤٨٦١).

وقد حَذَّرَ النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وصَرَّحَ أن فيه دمارَ الأمة، فعن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«إذا عَمِلَتْ أمتي خمسًا فعليهم الدَّمَارُ، إذا ظهر فيهم التلاعن، ولبسوا الحريرَ، واتخذوا القَيْنَاتِ، وشَرِبُوا الخمورَ، واكتفى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساءِ» (حلية الأولياء ١٢٣/٦).

وعن واثلة وأنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- مرفوعًا: «لا تذهب الدنيا حتى يستغني النساءُ بالنساء والرجالُ بالرجال والسَّحَاق زنى النساء فيما بينهن» (الفوائد لأبي القاسم تمام بن محمد ١٢٢٩).

وعنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعًا: «إذا استغنى النساءُ بالنساء والرجالُ بالرجال، فبَشِّرْهُم بريح حمراء تخرج من قبل المشرق، فيُمْسَخُ بعضُهم، ويُخْسَف ببعض؛ ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون» (كنز العمال ٣٨٤٩٩).

وعن أُبَيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ قال: قيل لنا أشياءُ تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة، فمنها نكاح الرجل امرأته وأَمَتَه في دبرها. وذلك مما حَرَّمَ الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله؛ ومنها نكاح الرجل بالرجل. وذلك مما حَرَّمَ اللهُ ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله؛ ومنها نكاحُ المرأةِ المرأةَ. وذلك مما حَرَّمَ اللهُ ورسوله، ويمقت اللهُ عليه ورسولُه، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك، حتى يتوبوا إلى الله توبةً نصوحًا. قيل لأبيّ: وما التوبة النصوح؟. قال: سألت عن ذلك رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: هو الندمُ على الذنب حين يفرط منك، فتستغفر اللهَ بندامتك، ثُم لا تعود إليه أبدًا» (شعب الإيمان ٥٠٧٤، كنز العمال ٣٩٤٦٠).

وقد حَذَّر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه الديلميُّ – المُسْتَحِلِّينَ لعمل قوم لوط بعذاب من السماء بين يدي الساعة، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لاتقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكوكب من السماء باستحلالهم عملَ قوم لوط» (كنز العمال ٣٨٥٩٩).

* * *

إن الله شاءت حكمته أن يُجْرِي سنةَ توالد وتواصل الجنس البشري عن طريق الزوجين المُكَوَّنَين من الرجل والمرأة، وشاء أن يسكن أحدهما للآخر، ويُشْبِعَ كلٌّ منهما بالآخر غرائزَه الجنسيّةَ، فمن ينقلب على هذه السنة الإلهيّة، ويخرق هذه الطبيعةَ التي وَضَعَها اللهُ عَزَّ وجَلَّ، فهو يتحدّى اللهَ في سنته.

ولذلك شَدَّدَ اللهُ عقوبةَ قوم لوط – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وجَمَعَ عليهم أنواعًا من العقوبات من الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم، وعَذَّبهم، وجَعَلَ عذابهم مستمرًّا، فنكل بهم نكالًا لم ينكله بأمة سواهم؛ لأنهم أول قوم أَتَوْا هذه الفاحشةَ التي لم يَسْبِقْهُمْ بها أحدٌ من العالمين. وإنما عَذَّبَهم الله هذا العذابَ الشديدَ لعظم مفسدة جريمتهم التي كادت من أجلها تميد بهم الأرض من جوانبها حين عُمِلت، وهربت الملائكة إلى أقطار السماوات والأرض عندما شاهدوها خشيةَ نزول العذاب على أهلها ومخافةَ أن يصيبهم مع هؤلاء المجرمين.

قال تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ٨٠-٨٤).

وقال تعالى:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (الحجر: ٧٢-٧٦)

سكن قوم لوط – عليه السلام- في قرية «سدوم» وهي من القرى الواقعة في الجانب الجنوبي من البحر الميت. ومنطقة البحر الميت هي المنطقة التي تقع اليوم على الحدود الفاصلة بين كل من فلسطين والأردن في الجزء الجنوبي من منطقة بلاد الشام. وتم اكتشاف قريتهم التي آثارها تدل على شدّة العذاب المتنوع الذي أنزل الله عليهم. والبحرُ الميتُ يُعْرَفُ أيضًا بـ«بحيرة لوط» وهو قريب من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وصحراء سيناء، ويقع البحر الميت على الحدود الغربية للأردن وعلى الحدود الشرقية لدولة فلسطين. ويقال: إن منطقة البحر الميت هي المنطقة الأخفض في العالم كله، عدا عن نسبة الملوحة العالية في هذه المنطقة. وأكدت الدراسات الجيولوجية الحديثة أن المنطقة

كانت لدى نزول عذاب الله عليها قد تَعَرَّضَتْ لحريق هائل وصلت درجةُ حرارته قرابةَ ٥٠٠٠ درجة مئوية، حيث احترق كلُّ شيء وغَطَّى الرمادُ المنطقةَ برمتها، إلى جانب الخسف الذي وَقَعَ في المنطقة والذي حَصَلَ بسبب هَزَّة أرضية عنيفة ترافقت مع انفجارات قويّة عنيفة إلى ترافقها مع حرائق هائلة وضخمة في المنطقة كلها.

ومن أقبح صفات قوم لوط أنهم كانوا يأتون الذكرانَ، فكانوا يخالفون سنة الله التي تقتضي أن يأتي الذكر الأنثى، لتستمر الحياة، ويتواصل الجنس البشري في البقاء، وتتم عمارة الكون، والأدهى والأمرّ أنهم كانوا لا يستحيون من فعلتهم الشنعاء، فلا يستترون وإنما يجاهرون بها أمام الناس ويمارسونها في ناديهم ومجالسهم، فكان ذلك قمة الطغيان والإفساد في الأرض. والصفةُ الثانية البارزة فيهم أنهم كانوا يقومون بقطع الطريق وأخذ أموال الناس، فقد كانوا يتربصون بكل تاجر يأتي إلى منطقتهم، فيهجمون على قافلته ويأخذ كل واحد منهم كل ما عنده من البضائع بضاعة بضاعة، فيعود مفلسًا مُحَطَّمًا مظلومًا.

ولكون هذه الجريمة أشنع أنواعَ الجرائم وأفحشها أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقتل الفاعل والمفعول به من اللوطيين الممارسين للمثلية الجنسية، فقال:

«مَنْ وجدتموه يَعْمَلُ عَمَلَ قومِ لوطٍ فَاقْتُلُوا الفاعلَ والمفعولَ به» (الترمذي: ١٤٥٦؛ وأبوداود: ٤٤٦٢؛ وابن ماجه: ٢٥٦١).

ونقل العلماء إجماعَ الصحابة على قتل اللوطي – الذي يُسَمَّى اليوم «المثلي» أو «الشاذَّ جنسيًّا» – لكن اختلفوا في طريقة قتله؛ فمنهم من ذهب إلى أن يُحْرَقَ بالنار. وهذا قول علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وبه أخذ أبوبكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ومنهم من قال: يُرْمَىٰ به من أَعْلَىٰ شاهق، ويُتْبَع بالحجارة. وهذا قولُ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كذلك. ومنهم من قال: يُرْجَمُ بالحجارة حتى يموت، وهذا القول مروي عن علي وابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – كذلك، ومنهم من قال: يُعَاقَب عقوبةَ الزاني، فيُرْجَمُ إن كان مُحْصِنًا، ويُجْلَدُ إن كان غيرَ مُحْصِنٍ. ومنهم من قال: يُعَزَّر التعزير البالغ الذي يراه الحاكم.

وقد فَصَّلَ ابنُ القيم الكلام في هذه المسألة في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي». (اقرأ بصفة خاصة، ص٢٦٠-٢٦٣).

وقد قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» الذي وضعه لعلاج هذه الفاحشة المنكرة:

«ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد، كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات».

أعاذنا اللهُ جميعًا بفضله ومنّه وكرمه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(تحريرًا في الساعة الخامسة مساءً من يوم الخميس: ٩/محرم ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠/سبتمبر ٢٠١٨م).

نور عالم خليل الأميني
nooralamamini@gmail.com

من ظلال التفسير

بقلم: العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله
(١٣٠٥-١٣٦٩هـ/١٨٨٧-١٩٤٩م)
تعريب: أبو عائض القاسمي المباركفوري

ﭐللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥

فائدة:

يؤخذ من الآية الأولى عظم شأن الله تعالى، ثم أنزلت الآية – التي تتضمن توحيد الله تعالى، وقداسته وجلاله وغاية عظمته بكل وضوح– وتوصف هذه الآية بآية الكرسي، وأطلق عليها الحديث النبوي: «أعظم آية في كتاب الله»، ووردت الأحاديث بكثير من فضلها والأجر عليها.

والأصل أن الله تعالى ذكر في كتابه الحكيم في غير موضع ثلاثة مضامين مضمومة بعضها إلى بعضٍ: علم التوحيد والصفات، وعلم الأحكام، وعلم القصص والحكايات، التي تهدف إلى تقرير التوحيد و الصفات أيضًا، أو التاكيد على علم الأحكام والحاجة إليه. وعلم التوحيد والصفات و علم الأحكام آخذة بعضها بعناق بعض أخذًا يجعل بعضهما علامة على بعض،وصفات الله تعالى هي المرادة. والأصل فيما يخص الأحكام الشرعية، فالأحكام الشرعية بمنزلة الثمار والفروع للصفات الإلهية، فتبين أن علم القصص وعلم الأحكام لابد أن يعزِّزا ويقوِّيا علم التوحيد، ويُعينا عليه. وكذلك علم القصص وعلم التوحيد والصفات لابد أن يؤكِّد علم الأحكام والحاجة إليه؛ بل يثبت بهما حقيقته وأصله.

وهذه الطريقة المركبة من ثلاث طرق على غاية من الحسن واليسر والقبول. أما أولًا، فلأن المواظبة على الطريقة الواحدة تسبب الملل والسآمة، والانتقال من علم إلى آخر يُشْبِهُ التحول من التنزه في حديقة إلى التنزه في حديقة أخرى. و ثانيًا: لأن الطرق الثلاث مجموعةً تبلور الحقيقة المنشودة والثمرة المرجوَّة.

كما أنه يورث امتثال الأحكام بغاية من الشوق والاستعداد والرغبة والبصيرة، فالطريقة المذكورة

على غاية من الحسن والجودة، وكثير الاستعمال في القرآن الكريم، ألا ترى في هذا المقام، كيف أنه أكثر من ذكر الأحكام وفصّلها تفصيلا، ثم عرج على ذكر القصص بقدر المصلحة، فكأنه أرانا رأي العين فوائد وثمرات الأحكام المذكورة كلها ثم ساق آية الكرسي– التي تعتبر آية مميَّزة فيما يخص التوحيد والصفات–، وأصَّل جذور الأحكام كلها في القلب تأصيلًا لايمكن معه استئصالها واجتثاثها.

فائدة:

شرحت الآية الكريمة توحيد الذات وسمو الصفات، بأن الله تعالى موجود من الأزل، لايشاركه أحد، هو فاطر الخلق كله، براء من النقص والتبدل والفتور بأنواعها، مالك كل شيء، عالم بكل شيء علمًا كاملًا، قادر عليه كل القدرة، له غاية العظمة والسمو، لايستحق أحد ولايسعه أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه، ولايشق عليه أمر من الأمور.

فائدة:

الرفيع على الأشياء والمتعالي عن العقول كلها، كل شيء دونه، ولاشيء أعظم منه. وهذا يؤكد أمرين ويرسخهما في القلب كل الترسيخ: الأول: ربوبيته تعالى وحكومته، ومحكومية الخلق وعبديته، الأمر الذي يفيد وجوب التصديق لكافة أوامر الله تعالى والعمل بها من غير نكير أو نقاش، وعدم الاعتداد بأي شبهة في أحكامه سبحانه. والأمر الثاني: بالنظر إلى العبادات والمعاملات الكثيرة المذكورة سابقًا وما عليه من النعيم والعذاب، قد يشكل على بعض الناس أن كل واحد منهم يخصه من المعاملات والعبادات الكثيرة ما يبلغ مبلغًا يتعذر معه ضبطه وإحصاؤه، ثم ما عليه من الثواب والعقاب يفوق العقل والتصور، فبين الله تعالى في هذه الآية من صفاته المقدسة ما يضمن القضاء على مثل هذه الأوهام والتخيلات بصورة ميسورة، أي أن علمه وقدرته بلغا من الكمال مبلغًا لايكاد يخرج منهما شيء من الأشياء. فكيف يصعب على من كان له هذا اللامتناهي المستمر الدائم من العلم والقدرة - إحصاءُ جزئيات العالم و ضبطها والجزاء عليها.

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

فائدة ١:

حيث إن الله تعالى فصَّل أدلة توحيده وشرحها شرحًا مما لايدع لكافر مجالًا لكفره وإنكاره، فأي حاجة إلى إكراه أحد على الإيمان، هلا يدرك ذلك أولو الألباب والنُّهى، كما أن الشرع لم يكلِّف حمَلَ أحد على الإسلام وإكراهه عليه. وقد نص الله تعالى على: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ﴾ [يونس:٩٩]. ومن قَبِل الجزية فقد صان نفسه وماله.

فائدة ٢:

أي حيث تميز الهدى من الضلال، فمن أعرض عن الضلال وسلك طريق الهدى، فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم لا يخاف انقطاعه، (وَ اللهُ سَمِيْعٌ) لما ظهر من الأقوال، (عَلِيْمٌ) بالنوايا وأحوال القلوب، فلا يخفى عليه من خيانة ولا فساد نية.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

فائدة:

(اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ) شرحت الآية الأولى أهل الإيمان وأهل الكفر ونور هدايتهم وظلمة كفرهم، ويذكر هنا بعض نظائر ذلك مما يؤكده. فالنظير الأول يتناول قصة نمروذ، كان يكلف الناس السجود له اغترارًا بملكه وسلطته، و دخل عليه إبراهيم فلم يسجد له، فسأله عن ذلك، فقال – إبراهيم–: «لاأسجد إلا لربي». فقال نمروذ: لا رب غيري. فقال: لا أعتبر الملك والحاكم ربًّا، وإنما ربي الذي يحيي ويميت. فدعا نمروذ بأسيرين فقتل البريء و خلَّى سبيل الجاني، وقال: ألا ترى، أميت من أشاء وأحيي من أشاء، فاستدل إبراهيم بالشمس على هذا الأحمق الأخرق وبهته، وأفحمه، ولكن لم يهتدِ سبيلًا، أي لم يؤمن بإبراهيم رغم انقطاع حجته. أو نقول: عجز عن الرد على ما قاله إبراهيم ثانيًا، وإن كان له أن يرد عليه ردًا مماثلًا للرد الأول.

أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

فائدة١:

وهو عزير –عليه السلام–، وكان يستظهر التوراة كلها، وكان بخت نصر ملكًا كافرًا، خرب بيت المقدس، وأسر كثيرًا من بني إسرائيل وحملهم معه، ومنهم عزير –عليه السلام–، فلما أطلق سراحه رأى في طريقه بلدة خرابًا يبابًا، سقطت

عمائرها، فقال في نفسه: لقد مات هؤلاء كلهم، فكيف يحييهم الله تعالى من جديد، ويعود هذا البلد عامرًا؟ فقبض الله تعالى روحه حيث هو، ومات ظهره وهو الحمار، ولبث على هذه الحالة مئة سنة، ولم يره أحد به، ولا علموا من خبره. ومات بخت نصر في هذه المدة. وعمَّر بعض الملوك بيت المقدس فيها، وعمَّر البلد تعميرًا عظيمًا، ثم بُعِث عزير بعد مضي مئة سنة، و كان طعامه وشرابه على ما كانا عليه في المكان نفسه، و ثمة عظام حماره ورفاته على ما هو عليه. فأحيي بين يديه، وانفكت بنو إسرائيل خلال مئة سنة هذه من الإسار، وعمَّروا البلدة، فلم يرها عزير إلا عامرة.

فائدة ٢:

أمات الله تعالى عزيرًا ضحىً في أول النهار، وأحياه في حين لم يدخل في العشي، فقال في نفسه: إن كنت قدمت إلى هذا المكان أمس فقد لبثت يومًا، أو قدمت اليوم فقد لبثت أقل من يوم.

فائدة ٣:

فاجتمعت العظام بين يدي عزير -عليه السلام- على تشكيلة الجسد، ثم كسيت لحمًا، وتعدل جلده، فإذا هو حيٌّ بقدرة الله تعالى، فقام، ونهق.

فائدة ٤:

شاهد عزير -عليه السلام- ذلك بأم عينيه، فقال: لقد علمت علمًا يقينًا أن الله تعالى قادر على كل شيء، و المعنى: كنت أعلم أن إحياء الموتى يسير على الله تعالى، وقد رأيت الآن بأم عيني، لا أنه كان على هشٍّ من اليقين في ذلك، نعم لم يشاهده بأم عينيه، ثم نهض عزير منه إلى بيت المقدس، فلم يعرفه أحد، إذ كان شابًّا، وأولاده من بعده شيوخ وعجائز، فقرأ عليهم التوراة من ظهر قلبه، فعلموا أنه عزير، وكان بخت نصر أحرق كتب بني إسرائيل كلها ومنها التوراة.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

فائدة ١:

والحاصل أنه كان على يقين تام بـه إلا أنـه طلب عين اليقين، الذي يتوقف على المشاهدة بالعين.

فائدة ٢:

فأخذ إبراهيم عليه السلام أربعة من الطير: طاووسًا وديكًا وحمامة وغرابًا، وأمالهن وضمهن إليه ليعرفهن، فيأتينه إذا دعاهن. ثم ذبح أربعتهن، ثم وضع على جبل رؤوسهن، وعلى جبل آخر أجنحتهن، وعلى آخر هياكلهن، وعلى آخر أرجلهن، ثم قام بينهن ودعا واحدًا منهن، فقام رأسه في الهواء وانضم إلى جسده، ثم انضم إليه ريشه، ثم رجله

إليه، فجاء يسعى، وهكذا جاءت الأربعة إليه.

فائدة ٣:

قد يشكل هنا أمران إشكالًا قويًا: الأول: حياة الجسد المتفرق الأجزاء، الذي لاحياة فيه غير معقول، والثاني: أن هذه الخصائص من كونها طيورًا، وأربعة، وفلانًا وفلانًا منها، وتفريق أجزائها ثم مناداتها فتعود أحياء وتأتي تسعى، فهذه الخصائص والقيود لايبدو لها نفع. قلنا: لكشف الإشكال الأول قال: ﴿عَزِيْزٌ﴾، ولكشف الإشكال الثاني قال: ﴿حَكِيْمٌ﴾، فاندفع الإشكالان من الأساس أي: اعلموا علمًا يقينًا أن الله تعالى عزيز وقادر يفعل ما يشاء. وما من حكم من أحكامه إلا يحمل من الحكم ما عجزنا عن إدراكه و إحصائه فإنه يرجع إلى النقص الساري في علمنا، ولايمكن إنكار حكمته بمثل هذه الأمور. والله أعلم.

ذكر الله تعالى في آية الكرسي علمه وقدرته وغيرهما من صفاته، ثم أورد هذه القصص الثلاث، وأن الله تعالى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وأن الإحياء والإماتة بيده، ثم يذكر هنا الجهاد وفضل الإنفاق في سبيل الله تعالى وشروطه وقيوده، مما سبق ذكر بعض منه؛ لأن ما يبدو من العوائق دون الجهاد وإنفاق المال تزول بالإيمان بعلمه وقدرته تعالى، ومعرفة عجائب قدرته، وإلا فلابد من الضير فيه.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

فائدة:

أي أن الإنفاق في سبيل الله ولو كان قليلًا يعظم أجره، كما أن الحبة الواحدة تنبت سبع مئة حبة، والله تعالى يضاعف لمن يشاء، من سبع مئة إلى سبعة آلاف، وإلى أكثر من ذلك. والله تعالى جزيل العطاء، وعليم بنوايا كل منفق، وقدره وحال ماله، أي يعامل كل واحد على ما يناسبه.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

فائدة:

الذين ينفقون في سبيل الله، ولايمنّون بالقول، ولايؤذون بالطعن فيه، ولا باستخدامه ولا باحتقاره، أولئك لهم الأجر والثواب، ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من قلة الأجر ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من نقص الأجر.

قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾

فائدة:

أي رد لين على السائل، وتجاوز عنه إذا ألحف واستطال، خير من صدقة يعقبها تعيير مرة بعد مرة، أو منٌّ عليه أو يطعن فيه، (غَنِيٌّ) لايحتاج إلى مال أحد، فالذي ينفق في سبيله فلنفسه، (حَلِيْمٌ) لايعجل بالعقوبة على من يؤذي بالصدقة.

آداب حسن الجوار

بقلم: الشيخ: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز

١ - حفظ حقوقه العامة

وللجار حق كبير عليك، فإن كان قريبًا منك في النسب وهو مسلم فله ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

وإن كان مسلمًا وليس بقريب في النسب فله حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وإن كان غير مسلم وهو قريب، فله حقان: حق القرابة وحق الجوار، وإن كان غير مسلم وليس بقريب، فله حق الجوار.

وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام إن كان مسلمًا، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه بالفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح على عوراته، ولا يضايقه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له عن عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

عن أَبِي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أَن رَسُولَ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «حَقُّ المسلِمِ عَلَى المسلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُن يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّم عَلَيهِ، وَإِذا دَعَاكَ فَأَجِبهُ، وَإِذا استنصَحَكَ فَانصَح لَهُ، وَإِذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتهُ، وَإِذَا مَرِضَ فعُدهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعه»[١].

٢ - الإهداء له

عن أَبِي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يَا نِسَاءَ المسلِمَاتِ، لا تَحقِرَن جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَو فِرْسِنَ شَاةٍ»[٢].

عن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- قالت: قلت: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهم منك بابًا»[٣].

عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنه ذُبحت له شاة، فجعل يقول لغلامه: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورِّثه»[٤].

٣ - مواساته عند الحاجة، وتفقد أحواله

عن ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «ليس المؤمن بالذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه»[٥].

قال شيخنا العلامة الألباني: «في الحديث دليل واضح على أنه يحرم على الجار الغني أن يدع جيرانه جائعين، فيجب عليه أن يقدم إليهم ما يدفعون به

الجوع، وكذلك ما يكتسون به إن كانوا عراة، ونحو ذلك من الضروريات، ففي الحديث إشارة إلى أن في المال حقًا سوى الزكاة، فلا يظنن الأغنياء أنهم قد برئت ذمتهم بإخراجهم زكاة أموالهم سنويًا؛ بل عليهم حقوق أخرى لظروف وحالات طارئة، من الواجب عليهم القيام بها، وإلا دخلوا في وعيد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤].

وعن أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما آمن بي من بات شبعانًا وجارُهُ جائع إلى جنبه وهو يعلم به»(٦).

وعن جابر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق، أو الماء فإنه أوسع، أو أبلغ للجيران»(٧).

وعن أبي ذر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: إن خليلي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوصاني: «إذا طَبَخْتَ مَرَقا فَأكثر مَاءَه، ثم انظر أهل بيتٍ من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»(٨).

قلت: وهذا البر نوع من الصلة المحمودة ببذل الطعام لغير عوض من أسباب الألفة بين الجيران، وقيل في منثور الحكم: الجود بذل الموجود.

٤ - مساعدته ونفعه

عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لا يمنع جارٌ جاره أن يغرز خشبه في جداره»(٩)، هذا إذا لم يترتب عليه من إيقاع الضرر بالجار، فيندب له قبول ذلك منه، ويتنازل له في وضع خشبه أو ضرب وتدٍ أو بفتح شيء بالحائط أو نحوه مما ينتفع به الجار الآخر، إذا كان لا يضر به، كوهن الحائط أو غير ذلك، أمَّا الجدار المملوك فلا ينتفع به الجار إلا بإذن جاره، ولا يقيم عليه بناءً، أو يغرز به خشبة، أو يفتح به كُوَّة إلا بإذنه، ولكن يندب لصاحب الدار أن يمكن جاره من ذلك، لحديث الباب، ولعمري هذا التوجيه النبوي الشريف لو التزمه الناس اليوم، لما وصلوا إلى القضاء، أو إلى المحاكم.

عن ابن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: لقد أتى علينا زمان - أو قال: حين- وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «كم من جارٍ متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يارِبِّ! هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه»(١٠).

٥ - الإحسان إليه وإكرامه

عن أبي شريح وأبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قالا: قال رسول الله-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره»(١١).

وعن أبي شريح العدوي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره»(١٢).

٦ - الجار أولى الناس بشراء البيت أو الأرض من جاره

عن ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من كانَت لهُ أرضٌ فأرادَ بَيعَها، فَلْيَعرِضها على جارِهِ»(١٣).

٧ - صنع الطعام للجيران لوفاة ميت عندهم

قال شيخنا الألباني -رحمه الله- في أحكام الجنائز(٢١١): «وإنما السنةُ أن يصنع أقرباءُ الميت وجيرانه لأهل الميت طعامًا يُشبعهم؛ لحديث عبد الله ابن جعفر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حين قُتل قال النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اصنعوا لآل جعفرٍ طعامًا، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم». أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه. قال الإمام الشافعي في «الأم» (١/ ٢٤٧): «وأحب لجيران الميت أو ذي القرابة أن يعملوا لأهل الميت في يوم يموتُ وليلته طعامًا يُشبعهم، فإن ذلك سنةٌ، وذكرٌ كريمٌ، وهو من فعل أهل الخير قبلنا وبعدنا».

٨ - تجنب الوقوع في الخطأ معه

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرًا»(١٤).

وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سألت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثمَّ أيُّ؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثمَّ أي؟ قال: «أن تُزاني حليلة جارك»(١٥).

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمن جارُهُ بوائقَهُ»(١٦). ومن الواجب غض البصر عن عورات الجار ومحارمه، وعدم إلحاق الأذى به من جميع الجوانب.

والآداب مع الجار كثيرة، ومنها السلام عليه، والتبسم في وجهه، ودعوته واحترامه والتعاون معه على الخير، وكذلك حفظ أسراره؛ لأن الجار قد يطلع على أمور لا يراها غيره، وهذا برأيي من الأمور المهمة بين الجيران.

❊ ❊ ❊

الهوامش:

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٢) في كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٢) ومسلم. والفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٧ - الفتح) في كتاب الأدب، باب: حق الجوار.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠)، والترمذي (١٩٤٣) في كتاب البر والصلة، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٩).

(٦) أخرجه الطبراني (١/ ٢٥٩)، وحسن إسناده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٧).

(٧) صحيح أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٨).

(٨) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٩)، ومسلم (١٤٣).

(٩) أخرجه البخاري (٣/ ١٧٣)، ومسلم.

(١٠) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١١)، وحسنه الألباني، وينظر تخريجه في «الصحيحة» (٢٦٤٦).

(١١) متفق عليه.

(١٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٣ - فتح) في كتاب الأدب.

(١٣) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٢٤٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٥٨).

(١٤) أخرجه البخاري (٨/ ٢٥٢)، ومسلم (٤٧).

(١٥) أخرجه مسلم (٨٦) في كتاب الإيمان.

(١٦) أخرجه أحمد، ومسلم (٧٣). قوله: (بوائقه) جمع بائقة أي غائلته وشره.

❊ ❊ ❊

من تاريخ الجامعة الإسلامية: دارالعلوم/ ديوبند

(الحلقة ٦٤)

بقلم: **الأستاذ/ سيد محبوب الرضوي الديوبندي -رحمه الله-**
(المتوفى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)
ترجمة وتعليق: **محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري**(*)

دور خريجي الجامعة في مقاومة الخطوات الرامية إلى سنّ قانون يعارض الشريعة الإسلامية:

كما قاوم علماء ديوبند – مقاومة شديدة- كل خطوة اتخذت لسنّ قانون قد يعارض الشريعة الإسلامية على عهد الحكومة البريطانية، وأثبتوا تيقظهم و شعورهم بما يجب عليهم، ولم يترددوا أبدًا في شرح الموقف الإسلامي من مشروع قانون «شاردا»، وقانون الوقفية إبان النية في إقرارهما دون أن يخافوا في ذلك لومة لائم.

وكان من المتوقع إدخال بعض التعديلات الإدارية في البلاد حين زار الوزير البريطاني الخاص بالهند عام ١٩١٧م فقامت دارالعلوم/ديوبند بتوعية المسلمين بضرورة تقديم مطالبهم اللازمة في صورة نشرة مطبوعة. ومما يزيد أهمية هذه التوعية والتوجيه أنه لم يولِ واحد من الأحزاب السياسية الإسلامية هذا الجانب عنايته، وجاء في هذا النداء باسم «اقتراحات علماء ديوبند» التي أصدرها الشيخ الحافظ محمد أحمد (١٢٧٩-١٣٤٧هـ/١٨٦٢-١٩٢٨م) – الرئيس الخامس لدارالعلوم/ديوبند-:

«من المتوقع إدخال التعديلات الهامة في نظام الحكم في البلاد لدى مقدم الوزير البريطاني الخاص بها، كما يشير إليه إعلان الحكومة في ٢٠/ أغسطس عام ١٩١٧م.

وفي مثل هذا الوقت يجب الحفاظ على حقوق المسلمين الدينية وحريتهم الكاملة وصيانتها. و لم يحظ هذا الجانب بعناية المجالس السياسية، وإن صمت العلماء عليه الآن قد يجرّ أضرارًا، فمن المهم جدا أن يصدر علماء ديوبند- المتفرقين في جميع أنحاء الهند، والذين يديرون معظم المدارس الدينية والسلاسل الإسلامية- اقتراحات في هذا الشأن. ومرسلة لكم هذه الاقتراحات، حتى تنظروا فيها وتروا رأيكم، أو ترسلوا إلينا آراء أخرى إذا سنحت لكم، وأثبتوا آراءكم على هذا الكتيب المطبوع وأرسلوها إلى دارالعلوم/ديوبند. ومطالب العلماء هذه تستحق النظر و القبول على كل حال، سواء منحت الهند الحكم الأهلي أو الحكم الذاتي بمعناه الحقيقي أو شيء من ذلك.

يجب مطالبة الحكومة بالموافقة على هذه الاقتراحات للحفاظ على الشؤون الإسلامية،

(*) أستاذ التفسير واللغة العربية وآدابها بالجامعة.

وسد الطريق إلى التدخل في الشريعة الإسلامية أو مزاحمتها بصورة أو أخرى.

(١) إن الأوساط العلمية – التي تمثل جميع المسلمين في الواقع – لاترضى بقبول أي تعديل يعرض حقوق المسلمين في الحرية الكاملة أو المصالح السياسية أو الدينية أو الحفاظ عليها للخطر.

(٢) إن تحقيق المصلحة العامة للمسلمين يتطلب حتمًا تعيين مسلم – متمكن من التوجيهات والتعليمات الإسلامية – عضوًا في المجلس التشريعي من قبل الحكومة.

(٣) يجب القطع في كافة المعاملات الإسلامية بما يتفق والقانونَ الشرعي المحمدي عن طريق القضاة والمفتين في المحاكم الشرعية، ويجب إنشاء أمثال هذه المحاكم في الهند بما ينسجم مع الشرع المحمدي.

(٤) يجب الحفاظ على الأوقاف والمساجد والمعابد والمقابر وغيرها مما يخص المسلمين برعاية شيخٍ للإسلام وفق الشريعة الإسلامية.

(٥) يجب الحذر من تنفيذ قانون صادر من المشرعين، يعارض الشريعة الإسلامية.

(٦) يجب إنشاء مصلحة برعاية شيخٍ للإسلام، يختار أعضاؤها من العلماء الذين يمثلون الفرق الإسلامية، ويوكل إليهم الإشراف على الشؤون الخاصة بها.

(٧) يجب البتّ في القضايا الناشئة بين المسلمين وغيرهم من خلال المحاكم المشتركة.

(٨) يجب منح التعليم الديني حريةً كاملةً، والحذر من تنفيذ قانون يحول دون ذلك.

(٩) توظيف حَمَلَة شهادات المدارس الدينية في المصالح التي تليق بهم.

(١٠) تخصيص مبالغ للتعليم الديني من خزينة الدولة العامرة.

خادم الإسلام

محمد أحمد

رئيس دارالعلوم/ديوبند

ويشترط القاضي المسلم في بتّ كثير من القضايا وفق الشريعة الإسلامية، فالشريعة الإسلامية لاتسمح للمرأة أن تتولى فسخ نكاحها هي؛ بل يجب أن يتولاه قاضٍ مسلم. وكذلك قضايا النكاح والطلاق والميراث والوقف والشفعة وآلاف أمثالها في حاجة إلى قضاء قاضٍ مسلم. وأما قضاء الحاكم غير المسلم فلايغني في منظور الموقف الشرعي والعقائد الإسلامية. وكانت كثير من المناطق تعوزها قاضٍ مسلم، فتتعرض – حينئذ – النسوة المسلمات اللاتي كنَّ في حاجة إلى الخلع بصفة خاصة لمشكلات فادحة. وتتمثل صعوباتهن في أنهن يقترفن إثمًا يوقعهن في الحرام فيما إذا حصلن على الخلع من قبل حاكم غير مسلم.

وللأسف هذه المطالب ذهبت ضحية إعراض الحكومة البريطانية، ولم يتم البتّ في هذه القضية الخاصة بقانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وأما دارالعلوم /ديوبند فقد أثبتت تيقظها وشعورها بالواجب في حينها، ولازالت هيئة الأحوال

الشخصية للمسلمين ناشطة بقيادة الشيخ محمد طيب – رئيس دارالعلوم/ديوبند- في سبيل هذه القوانين الشخصية الخاصة بالمسلمين ليومنا هذا.

ويشكل عام ١٩٤٧م/١٣٦٦هـ الذي شهدت فيه البلاد التقسيم – عهدًا بعث اليأس الشديد في قلوب المسلمين وثبّط هممهم للغاية؛ حيث يئس المسلمون من مستقبلهم يأسًا شديدًا، وتسرّب إليهم الشعور بالدون والضعة، وكادت أقدامهم تتزعزع و ريحهم تذهب، ولا يسع إدراك خطورة هذا العهد مَن لم يعِشْه، ولم يمرَّ به؛ فقد كانت مرحلة رهيبة من الخوف والذعر، والتردد وزعزعة الأقدام. وكان من الصعوبة بمكان إنقاذ سفينة المسلمين إلى ساحل الأمان في مثل هذه الأوضاع المأساوية و مواجهة العواصف الهوجاء العاتية المناوئة والثبات عليها. وفي هذه المرحلة العصيبة شجّعوا المسلمين ونفخوا فيهم روح الثبات، وأعدّوهم للبقاء في وطنهم و مواجهة الأوضاع المناوئة، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في تقدمته على «مكتوبات شيخ الإسلام»:

«إن شمال الهند وخاصة ولاية أترابراديش التي تشكل المرجعية العقلية والعلمية والسياسية للمسلمين، كان استمرارهم وبقاؤهم فيها رهن صمود المديريات الغربية من سهارن فور، و مظفر نغر، وصمود وثبات المسلمين فيها. فمديرية سهارن فور التي تشكل همزة الوصل بين ولاية أترابراديش وبنجاب الشرقية- لو تزعزعت لاستحال بقاء المسلمين في مديرية من المديريات وصمودهم فيها. وكانت مديرية سهارن فور وما حولها من المديريات تشهد حركة قوية واتجاهًا واسعًا نحو الهجرة من الوطن بحكم الأوضاع التي كانت تعيشها وبقربها إلى بنجاب الشرقية. ومن فضل علماء ديوبند وسهارنفور العظيم أن قاوموا حركة الهجرة بما ملكوا من القوة، واعتبروا ذلك التوجه إلى القتل والهلاك السياسي والديني بالنسبة للمسلمين. وكان الشيخ حسين أحمد المدني(١٢٩٦ - ١٣٧٧هـ/١٨٧٩-١٩٥٧م) له مساهمات فاعلة في هذه المساعي المضنية الرامية إلى الحيلولة دون هجرة المسلمين، وإلى تثبيت أقدامهم فيها؛ فقد نفخت خطباته وكلماته الإيمانية في قلوب المسلمين في هذه المناطق الروح الدينية والحماس من جديد، فتوقفت الهجرة من البلاد[1].

وفي هذا الصدد سافر الشيخ محمد طيب (١٣١٥- ١٤٠٣هـ/١٨٩٧-١٩٨٣م)- رئيس دارالعلوم/ديوبند- إلى «ميروت» ومناطق أخرى، وحمل المسلمين على حلّ رحالهم التي شدوها لمغادرة البلاد إلى باكستان. وتم فرض الحظر على خطباته وكلماته في «ميروت» لمدة شهر واحد تقريبًا في هذا الصدد.

وتقوم أوربا بنشر أفكارها ونظرياتها في الأمم الشرقية بأيدي السلطات الحاكمة فيها، وبلغ معظم الدول الإسلامية من التأثر والانفعال مع الرقي العلمي الذي كسبته أوربا – أن تخلت– الدول الإسلامية – عن الأفكار والخصائص الإسلامية ونفضت يدها منها؛ لتحاكي الأفكار والنظريات الغربية وقوانينها، وكثير منها قد انصهرت في بوتقة

الثقافة الغربية تمامًا.

وأما علماء ديوبند فيمتازون بأنهم جعلوا الموقف الشرعي من كل قضية نصب أعينهم، ولم تشخص أبصارهم العواصف والأسباب والدوافع الوافدة، فجماعة علماء ديوبند كانوا في طليعة الذين رفعوا الأصوات المؤثرة القوية ضد التدخّل في قانون الأحوال الشخصية الإسلامي.

ونافلة القول أن ما قامت به هذه المؤسسة التعليمية من الخدمات العظيمة تجاه القضايا الإسلامية والدين والدولة، ومن توسعة نطاق علوم النبوة ونشرها يعزّ مثيلها، وقامت دارالعلوم بخدمة الدين والشريعة هذه على عدة مستويات:

قامت دارالعلوم- علاوة على توفير الحرية الفكرية للأمة الإسلامية- بجهود ومساعٍ ترمي إلى إنارة جميع نواحي الإصلاح والبناء في الحياة الاجتماعية تقريبًا. ومن الحقائق التي لاتجحد أنه لولا نشأة دارالعلوم/ديوبند لحرمنا ما نراه من صورة الإسلام الحقيقية الأصيلة في شبه القارة الهندية. وقامت هذه المؤسسة بنقل ما ورثته عن عظمائها وكبارها من العلوم الدينية والحضارة والثقافة الإسلامية إلى الأمة بكل أمانة. وظلّت هذه المؤسسة أكبر أمين ووريث للعلوم والثقافة والحضارة الإسلامية خلال قرن من الزمان. وتقوم بتعريف المسلمين بالعلوم والحضارة والثقافة الإسلامية منذ قرن مضى. وهي التي تمثل الحصن الحصين لمئات الملايين من المسلمين من أن يقعوا فريسة الهزيمة الروحانية في هذه المرحلة الإلحادية العصيبة. وما لعبته هذه المؤسسة من الدور الملموس في الحفاظ على حياة الأمة الاجتماعية، ومكانتها السامية يعز مثيله.

وتاريخ مساعي دارالعلوم من هذا النوع يطول ذكره، فليس مسلم مثقف في شبه القارة الهندية يجهل هذه المساعي المشكورة التي قدّمها دارالعلوم في هذا الصدد، يقول الشاعر الأردي ما معناه:

«من هذا البحر المائج خرجت الأمواج العاتية، التي تجعل مكامن الوقح العديم الحياة عاليها سافلها.

يقول العالم الديني والمصنف البارز الشيخ السيد أبو الحسن الندوي- على ذكر ماعليه مسلمو الهند من الغيرة الدينية والحمية الإسلامية، التي لعب علماء ديوبند دورًا ملموسًا في توعيتهم بها وتصقيل مشاعرهم الدينية-:

«أضمرت السلطة الإنجليزية الحقد الدفين والحقد المفرط تجاه المسلمين الذين قادوا حرب التحرير عام ١٨٥٧م، وكانت تعتبر المسلمين عدوهم الدائم، وتعد الإسلام معسكرًا معارضًا لمعسكره ومناوئًا له، كلاهما يرى في نفسه مؤهلات لقيادة الحياة، وبناء المجتمع الإنساني. فكان حظ المسلمين من نيران الحرب، وضريبتها أوفر وأكثر من غيرهم من شرائح المجتمع الهندي وجماعاته. فكانوا يدركون خطورة الأوضاع وعواقبها الوخيمة الطويلة المدى كل الإدراك.

ولكن يشهد التاريخ بأن المسلمين الهنود أثبتوا أنهم أكثر نجاحًا في ثباتهم وصرامتهم و قوتهم التي

لاتُقهَر، وصيانة شخصيتهم الإسلامية وثروتهم المعنوية ضد الكيد المحكم و السيل الجارف من الحضارة الغربية – أكثر نجاحًا ممن تعرّضوا للغزو الأوربي والأفكار الغربية في نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن الثامن عشر الميلادي.

وعلاوة على هذه الغارة العلمية والحضارية واجه المسلمون غارة أخرى، وهي غارة الإرساليات المسيحية التي بدأت يشتد سوقها فور ما رسخت أقدام السلطة الإنجليزية في هذه البلاد، وكادت تطال البلاد أقصاها إلى أقصاها، وتحدق بها. هذه الإرساليات المسيحية كانت تملك أحدث الأسلحة وأكثرها تأثيرًا ومفعولًا، وتقف الحكومة من ورائها تشدّ أزرها، التي كانت تعتبر هذه البلاد الخصبة منحة من منح عيسى عليه السلام ويدًا من أياديه، وتعد هذه السلطة فرصة ذهبية لنشر المسيحية وترويجها.

وبجانب هذه الجهود التبشيرية والعزيمة القوية على تحويل البلاد كلها إلى النصرانية كانت البلاد تشهد حركة قوية من التشكيك، تهدف إلى زرع الشبهات والريب في كل ما يمتّ إلى الإسلام بسبب، في قلوب الشباب المسلم، سواء كان على صلة بالشريعة والقانون الإسلامي، وحضارته وثقافته و تاريخه، واجه علماء الهند هذتين الحركتين والقوتين بكل ما أتوا من قوة وطاقة، وتخلوا عن سياسة الاعتذار والدفاع مقبلين على اتباع سياسة الهجوم والنقد العلمي القوي. وبالتالي مُنِيَت هذه العواصف العاتية من التبشير، ومهمة التشكيك برمتها بالهزيمة النكراء، ونشأ في قلوب المسلمين من جديد إيمانٌ بالإسلام، وفخرٌ بثقافتهم وحضارتهم، واحترامٌ لشخصيتهم وتاريخهم.

ظلّت الأمة الإسلامية في هذه البلاد تتمتع بشعور وحس مرهف فيما يخص القضايا الإسلامية وإن كانت تخص مناطق العالم القاصية، ولم يقم موقفها منها على مبادئ والمساومة، وإنما يتمخض ذلك عن عواطفها الدينية وتربيتها الخاصة.

وتتجلى عاطفتها الإسلامية وعلاقتها القوية بدينها هذه في المدارس الدينية التي تنتشر شبكتها في طول البلاد وعرضها، يعزّ أن تخلو منها مدينة أو قرية. وأنشأ المسلمون هذه الحصون واضعين في اعتبارهم قوة الحكومة الإنجليزية واتجاه النظام التعليمي الجديد، ويتجاوز عددها المئات إلى الآلاف في هذه الأيام.

إن مسلمي الهند مكتفون بأنفسهم إلى حد كبير فيما يخص الإسلام بفضل من الله تعالى وكرمه. وإنهم يستنيرون من نور مصادر الإسلام الأولية الأصيلة: الكتاب والسنة، وسير حملته الأولين وتضحياتهم وإيثارهم وعزيمتهم وطموحاتهم. وربطوا عقيدتهم وإيمانهم وحالهم ومستقبلهم بشمس الإسلام اللامعة المنيرة، لا نجوم الأمم الإسلامية أو البلاد العربية، الخنس الكنس أو المصابيح الآفلة. فلايقلدون واحدة منها تقليدًا أعمى، ولا يشترطون لوفائهم للإسلام وفاء أحد من الناس له. وتوصّلوا –ثقة بالله تعالى– إلى أن يواصلوا حمل الإسلام وتوجيهاته في قلوبهم، وألّا يتخلوا عنها، ولو تخلى عنها أمة من العرب أو

العجم وأعرضت عنها. وقالوا: سنظل آمنين بالوحدة الإسلامية والشريعة الإسلامية ما عشنا. ولن نرضى بالمساومة على المبادئ الإسلامية، و منهج الإسلام في الحياة بصورة أو أخرى. ونعلم علمًا يقينيًا بأننا سنضطر إلى أداء ثمن لالتزام المبادئ والوفاء هذين في هذه البلاد وخارجها، وإلى أن نغض العين عن كثير من المنافع والفرص المواتية التي تكسبها الطوائف والفرق التي تساير الزمان؛ ولكننا على إيمان جازم بأن ربنا قد رضي عنا... ولن يكتب لنا الضيق والحرمان فيما إذا استقمنا على هذه المبادئ والأساسيات بالإخلاص والفهم[٢].

ما الذي استفاده مسلمو الهند من المدارس الدينية؟ تعليقًا على ذلك قال الشاعر الإسلامي الشهير العلامة إقبال[٣] ذات مرة لأحد أصحابه: الطبيب أحمد شجاع: «دعوا هذه المدارس كما هي، و دعوا أطفال المسلمين الفقراء يتعلمون فيها. أتدرون ماذا سيحصل لولا هؤلاء العلماء و الدراوشة؟ ما رأيته بأم عيني؛ فإنه– فيما إذا حرم مسلمو الهند هذه المدارس ونفحاتها– سيتكرر على أرض الهند ما حدث في الأندلس التي لم تعد تحتضن أثارة من أتباع الإسلام و الحضارة الإسلامية سوى خرابات وأنقاض غرناطة وقرطبة وآثار الحمراء رغم أنهم حكموها ثمانية قرون من الزمان. ولن تجد في الهند – إذًا–أثارة من الحكومة الإسلامية الممتدة على ثمانية قرون وحضارة المسلمين وثقافتهم إلا «تاج محل» في آغره، والقلعة الحمراء في دهلي»[٤].

* * *

الهوامش:

(١) مقدمة «مكتوبات شيخ الإسلام» ٢/ ٤٤–٤٥، الناشر: المكتبة الدينية، ديوبند.

(٢) كلمة التحية للشيخ أبي الحسن علي الندوي(مجلة تعميرحيات، ٢٥/أكتوبر عام ١٩٧٥م) ص ٤–٦.

(٣) هو إقبال بن الشيخ نور محمد (١٢٩٤– ١٣٥٧هـ/١٨٧٧– ١٩٣٨م)، من الشعراء النابهين الإسلاميين بدأ تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه، ثم التحق بأحد كتاتيب التعليم في سيالكوت، وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرغ للعلم الديني؛ ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ مير حسن لم يوافق، وقال: «هذا الصبي ليس لتعليم المساجد وسيبقي في المدرسة وانتقل إقبال إلى الثانوية؛ حيث كان أستاذه مير حسن يدرس الآداب العربية والفارسية، وكان قد كرس حياته للدراسات الإسلامية.

بدأ إقبال في كتابة الشعر في هذه المرحلة المبكرة، وشجعه على ذلك أستاذه مير حسن، فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية، ولكن السيد مير حسن وجهه إلى النظم بلغة الأردو، وكان إقبال يرسل قصائده إلى ميرزا داغ الدهلوى الشاعر البارز في الشعر الأردي – حتى يبدي رأيه فيها، وينصحه بشأنها وينقحها، ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرر داغ الدهلوي أن أشعار إقبال في غنى تام عن التنقيح، وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية ١٨٩١م، التي تخرج فيها وحصل منها على إجازة الآداب ١٨٩٧م، ثم حصل على درجة الماجستير ١٨٩٩م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية. وتلقى إقبال دراساته الفلسفية في هذه الكلية على يد الأستاذ توماس أرنولد، وكان أستاذًا في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة لندن.وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُين عميدًا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة بنجاب، وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة، وصنف كتابًا في «علم الاقتصاد» ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر؛ بل ظل يشارك في محافل الأدب وجلسات الشعر التي يسمونها في شبه القارة «مشاعرة».. للاستزادة من ترجمته راجع: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٤) خون بها (الدية) للطبيب أحمد شجاع ١/ ٤٢٩.

أحكام أساسية في التربية الاجتماعية

بقلم: فضيلة الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري
تعريب: أبو فائض المبارك فوري

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١]

هذه آيات من سورة النور التي تتناول أحكامًا خاصة بالتربية الاجتماعية، ومنشأ أمثال هذه الأمراض والهنات في المجتمع؟ وكيف السبيل إلى تربية المجتمع وإصلاحه؟ وما الأحكام التي تورث المجتمع الصلاح والخير؟ فهذا ما يتحدث عنه هذه الآيات.

الزنا من الكبائر

ومن هذه الأحكام: الأمر بغض البصر للجميع ذكرًا كان أو أنثى، وما فائدته؟ هو حفظ فروجهما. و كشف الفرج بريد الزنا ورائد الفجور. وعاقبة الزنا وخيمة. والزنا من الكبائر الثلاث: الأولى: الإشراك بالله تعالى. والثانية: قتل النفس بغير حق. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي لا يشركون به شيئًا ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨].

حقوق تستوجب القتل

ومن القتل ما أباحه الله تعالى، مثل قتل العدو في الجهاد؛ بل يثاب القاتل عليه. والقصاص على من أقدم على القتل العمد. ورجم الزاني المحصن. فهذا لاضير فيه. كما يجب قتل المرتد عن دين الإسلام. وإن لم يجز الإكراه على اعتناقه، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] فيمنع منعًا باتًّا الخروج عن دين الإسلام؛ فإنه يورث الفتنة. إنه يطوِّف العالم كله، يطعن في دين الإسلام. فإذا ارتد أحد عن دين الإسلام، يُحاوَل كشف شبهاته. ويُمهل إلى ثلاثة أيام. فإن لم يعُد إليه، قتلته الحكومة الإسلامية إن كان المرتد رجلًا، وحبسته إن كانت أنثى، ولاتقتلها. فإن المرأة لها أن تقضي حياتها معتقلة في بيتها. فتحبس في البيت. و أما الرجل فلايسع حبسه في السجن، ولأن الشرع الإسلامي لم يسن عقوبة السجن أصلًا. فلابد أنه يخرج

ويتجول، ويفتن الناس، فلا محيد عن قتله.

فهذه حقوق تستوجب القتل. وأما النفس التي حرمها الله تعالى فلا يجوز قتلها. فلا يجوز قتل عامة المسلمين وشعوب الحكومات الإسلامية أيًّا كان دينهم.

والكبيرة الثالثة: ﴿وَلَا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي يأثم و ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾.

غض البصر يحول دون الزنا

إذا كان ذنب الزنا بهذه الدرجة من الفظاعة والشدة، فلابد من الوقاية منه. وهيهات أن تقي ثيابك البللَ، وقد خضت البحر؟ فإذا فتحنا الباب إلى التجول في الشارع عراة مكشوفين، والمعاكسة، ثم نرجو حياة العفاف والوقاية من الزنا؟ هيهات وهيهات. إذًا لامحيد من اتخاذ خطوات تحول دون ذنب الزنا.

وهذه الخطوة تتمثل في وجوب غض البصر على الرجل والمرأة سواءً بسواءٍ. وهان عليهم الوقاية من الزنا إن لم ينظر بعضهم إلى بعض، ولم يعاكسوا بعضهم مع بعض. فالنظر بريد الزنا، فإن النظرة الحرام تهتك الستر، فلا تأمن معها صدورَ ذنب من الذنوب.

النظرة نظرتان

ينظر الرجل والمرأة نظرتين: نظرة ظاهرة (Open)، تشف عن تعمده النظر إلى المرأة. والثانية: نظرة خافية، أي ما لايبدو تعمده النظر؛ ولكنه في الواقع يتعمده. وهي خائنة العين. قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [الغافر:١٩].

فالرجل ينظر إلى المرأة النظرتين هاتين؛ لأنه لايتخذ نقابًا ينتقب به. وأما المرأة فقد اتخذت لنفسها نقابًا يبدي عينيها. فتظن إحداهن أنها لفّت حول رأسها لفائف بعضها فوق بعض، فعينها طليقة، لها أن تنظر إلى ما شاء لها الهوى مع أن الغرض من الستر هو حفظ العين. والمرأة حين تنتقب النقاب تظن أنها متحجبة. ويحك، أين حجابك؟ وأنت لاترعوين عن النظر إلى الكون كله. وعليه سوَّى القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في الحكم حيث قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾. والذي يجمع بين الأمرين (أي غض البصر، وحفظ الفرج)، أن ذنب الفرج يترتب على عدم حفظ البصر وغضه. وحيث يجب حفظ الفرج، لزم اتخاذ سببه وهو غض البصر. فإذا بدأت من حيث بدأ الله تعالى فقد وقيت نفسك المعاصي والذنوب. ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي إذارغب الرجل في التزكية والعفاف، والوقاية من ذنب الفرج، فلاسبيل إليه إلا غض البصر، فإن فعل ذلك فقد حصن فرجه: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي لا يخفى على الله تعالى النظرتان: الظاهرة والخافية.

ثم أمر الله تعالى النساء بما أمر به الرجال فقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ ولم يقتصر في حق النساء على ما اقتصر عليه في حق الرجال؛ بل زاد أحكامًا أخرى مما أودّ شرحه وبيانه:

ستر الرجل والمرأة واحد

الستر: واحد بالنسبة للرجل والمرأة. وهو ما

بين السرة إلى الركبة. أي ما يجب ستره من أجزاء الجسد. ولايجوز كشفه إلا بضرورة، فلا يجوز للمرأة أن تكشف هذا الجزء من جسدها لامرأة أخرى. وللضرورات أحكام تخصها، كما في الولادة، وإجراء العملية الجراحية. فهذا هو الستر بالنسبة للرجل والمرأة كليهما إلا عند الضرورة.

على المرأة الحجاب، وهو في ثلاث مراحل

وليس على الرجل حجاب، وعلى المرأة الحجاب بجانب الستر. وهو في ثلاث مراحل:

الحجاب الأول

حجاب المرأة مع ربها. فإذا قامت المرأة إلى الصلاة كشفت وجهها- أي ما يجب غسله في الوضوء -ويديها إلى الرسغين، ورجليها إلى أسفل من الكعبين. فهذه الأعضاء الثلاثة ليست من حجاب الصلاة. فإن لبست المرأة القفازين والخفين في صلاتها فهو حسن، وليس بواجب؛ لأنها لايشملها حجاب الصلاة. اللّهم إلا الكعبين، فإنه يجب سترهما. وتبطل صلاتها إن انكشفا. فلايجوز كشف شيء من بدنها إلا الأعضاء الثلاثة. فهذا حجاب المرأة مع ربها.

الحجاب الثاني

حجاب المحارم، أي من يحرم نكاحهم منها للأبد. فلايجوز لها كشف البطن ومايقابله من الظهر. ولها كشف ما عداه من أعضاء الجسد. فيجوز لها أن تكشف لمحارمها: الصدر وما يقابله من الظهر، وأعلى الصدر، واليدين، والساقين. ولايعني «أن لها كشفها» أن تدعها مكشوفة.

ولعله لايشكل عليك كشف الساق والرأس والرقبة وأمثالها، ولكن قد يشكل عدم إدخال الصدر وما يقابله من الظهر في الحجاب. فاعلم أن ثمة حاجة اجتماعية. وهي أن المرأة تكشف ثديها لترضع رضيعها في البيت، وفيه أبوه، وأبو زوجها، وأخوها. فلوكان الصدر من الحجاب لشق على المرأة إرضاع رضيعها. وعليه استُثنيَ صدرها من حجاب المحارم. وفي حكمه ما يقابل الصدر من الظهر. وأما كشف البطن فلاحاجة إليه، وعليه كان البطن ومايقابله من الظهر من الحجاب. إذًا فهذه حاجة اجتماعية، والمنع يضيق العيش.

الحجاب الثالث

حجاب الأجانب وهو حجاب البدن كله، دون استثناء منه. فاليد والرجلان، والوجه حجاب بالنسبة إلى كل الأجانب؛ بل الصوت-كذلك- حجاب وعورة. فعلى المرأة أن تمنع صوتها عن الأجانب ولو على الهاتف، ولو طرق الباب طارق، إلا ما اضطرت إليه. فإذا كان الهاتف يرنُّ وليس في البيت رجل يرد عليه، فلا ترد بصوت لين خاضع؛ بل بصوت خشن منكر. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فتقول بصوت غير خاضع: إنه ليس ثمة صاحب البيت. وليس لها أن تسأله من أنت؟ وما نسبك؟ ومن أين تتكلم؟ وما إلى ذلك. فما للمرأة ولهذه الأمور؟ و إنما تكتفي في الرد بأن صاحب البيت غير متوفر. وأما إذا كان رجل في البيت، أو صبي يعقل، فليرد عليه هو، دون المرأة. وقد ابتلينا اليوم بأنك لاتتصل ببيت أحد إلا رفعت المرأة السماعة، بدأت تسأل عما بدا لها ثم تدفعها إلى زوجها وهو بجوارها. وهذا يعارض ما عليه المجتمع الإسلامي الصالح. فلتحذر المرأة ذلك.

وهـذه المرحلـة الثالثـة مـن الحجـاب تناولتهـا سـورة الأحـزاب، قـال الله تعـالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنّ﴾ [الأحـزاب:٥٩] أي إذا خـرجن مـن البيـت لحاجـة، فَلْيُغَطِّينَ وجـوههن، وهـذا حجـاب الوجه. فإذا أدنت جلبابها فقد غطت يدها، وإن لم تغطها، فإن الآية لم تنص على حكم يخصها، وكذلك الرجلان، لم تخصهما الآية بحكم. وإنما أمرت بإدناء الجلابيب على الوجوه، إذا خرجن من البيت؛ لأن الوجه يجتمع فيه محاسن المـرأة. والحـواس الخمس التي يتلقى بها العلم الذي يكتمل به المرء، اجتمعت في الوجه. فمحاسن الجسد كله تنحدر إلى الوجه. وعليه خص الوجه بتغطيته، ولم تنص الآية على شيء في خصوص اليد والرجلين.

وآية سورة النور هذه الطويلة لاتخص الحجاب؛ بـل تخص تربيـة المجتمـع وإصـلاحه، أي كيـف تظهـر المـرأة لمحارمهـا وأمثـالهم. ومـا يجـوز لهـا كـشفه مـن أعـضاء جـسدها ومـالايجوز؟ قـال الله تعـالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي ما يتزين به من الحلى ونحوه ﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي إلا مـا جـرت العـادة والجبلـة عـلى ظهـوره مـن الأعـضاء، فـما هـذه الأعـضاء؟ هـي الوجـه، والكفـان، والـرجلان. ولم تتعرض الرواية للرجلين، وإنما اقتصرت على الوجه والكفين إلا أن الفقهاء قاسوهما على الكفين. ومـن الصعوبة بمكان أن تغطي المرأة في بيتها هذه الأعضاء الثلاثـة دائـماً، فاستثنيت مـن الحجـاب، ورخـص لهـا كشفها. وما عداه من أعضاء الجسد وإن جاز كشفها كما سبق في حجاب المحارم، إلا أن صلاح المجتمع يتطلب عدم كشف ما عداها من الجسد.

ثم إن ما يصف الثياب من أعضاء المرأة وهي الثديان مـن الـشابة، أفردهمـا بـالحكم، فـأمر بـضرب الخمـر عـلى الجيـوب، كيلايبـدو منهـا مـا بـرز مـن صدرها. قال الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ فـدل عـلى أن مـن الأعـضاء مـا يجـب أن لايـصفه الثيـاب. وعليـه أقـول: إن لابـس البنطلـون شبه عارٍ، فانظر كيف أمر الـشارع المـرأة – وهـي في قمـيص- بـضرب الخمـر عـلى الجيـوب، خـشية أن يـصف ثيابهـا مـا تحتهـا مـن صـدرها. فـدل عـلى أنـه لايكفـي ارتـداء أي لبـاس كـان؛ بـل لابـد مـن ثـوب لايصف ما تحته.

أسـلوبـان مـن أسـاليـب الـقرآن الـكريم

ثـم اعلـم أن القـرآن الكـريم يختص بأسـلوب، وهو أنه إذا أراد الرد على سؤال بأمرين، فإنه لايقرن بينهما؛ بل يعيد السؤال ثم يرد عليه ثانيًا. وكذلك إذا أراد أن يـستثني مـن حكـم أمـرين، فإنـه لايـستثنيهما معا؛ بل يعيد المستثنى منه ثم يستثني منه ثانيًا. ومنه مـا جـاء في سـورة العنكبـوت حيـث قـال الله تعـالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبـوت:٥٣] ثـم رد عليه، ثم عاد فقال: ﴿وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت:٥٤]، ورد عليه ثانيًا. فالسؤال واحد، لم يختلـف إلا أنـه أراد أن يـرد عليـه بـردين، فـذكر الـسؤال وأعقبه بـردٍ ثـم أعـاد الـسؤال، وأعقبه بـرد آخر. وهذا أسلوب خاص بالقرآن الكريم. وسلك نفـس المـسلك في هـذه الآيـة الكريمـة. وحيـث إن استثناء أمرين من مستثنًى منه واحدٍ يجعل الكلام قلقًـا، ويخرجـه عـن الفـصاحة، فقـال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ﴾ واستثنى منه ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ثم أعادالمستثنى منه وقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ واستثنى منه ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآية. أي النهي السابق عن إبداء الزينة - ما عدا الوجه والكفين والرجلين - لمن لاتبدي المرأة؟ فقال: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ الآية، أي يجوز لها أن تبدي زينتها أي يدها ورجليها،و وجهها لهؤلاء.

وضم آخرين في الحكم إلى المحارم فقال: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي يجوز لها إبداء الزينة للنساء المسلمات. وتناولت آيتان من القرآن هذه المسألة، أي أن الكافرة في حكم الأجنبي من الرجال يجب الاحتجاب منه ويقول ابن عباس: مما تهاون فيه المسلمون عدم الاحتجاب من الكافرات.

فإذا دخلت بيت غيرك فلاتدخل بغير الاستيذان - والناس لايبالون بذلك- وخاصة النساء لايستأذنَّ حين الدخول. وعلى كل يجوز للمرأة أن تبدي زينتها للمرأة المسلمة، فهي مستثناة من النهي عنه.

الثاني: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أي يباح لها أن تبدي زينتها لعبدها وأمتها وإن كانت الأمة كافرة. كان الناس في قديم الزمان يتخذون العبيد، فهل يجوز للمرأة أن تبدي مواضع الزينة المستثناة في الآية لعبدها وأمتها؟ نبه على أن لها أن تبدي وجهها لهما؛ لأن المرأة في حاجة إليهما، فاستثنى ذلك للحرج.

الثالث: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ أي الرجل يتبع القوم ويشاركهم في طعامهم وشرابهم، ولا يشتهي النساء. فهومستثنًى من النهي، وملحق بالمحارم.

الرابع: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ هم الذين لا يدرون أمور النساء لصغرهم. وأما العمر الذي لايدرك فيه الطفل أمور النساء، فيختلف من زمن إلى آخر، و من بلد إلى آخر. وأما في عهد التلفاز- كما نشاهده اليوم فعاد الطفل يدرك أمور النساء ولم يتجاوز سبع سنوات.

وفيما سبق أمرت المرأة أن تضرب خمارها على جيبها كي لايتبين صدرها، ثم أمر بما يشبه ذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أي لايضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلاخلهن فيعلم أنهن ذوات خلاخل. فانظر مدى الأمر بأخذ الحذر والحيطة؟ فهذه الأحكام امتثالها يبقي على المجتمع عفافه وطهارته. وانتهت الآية بقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وهذا معنى الآية باختصار، ولم أدخل في تفاصيلها. ولايغيبن عن البال أن هذه الآية ليست آية الحجاب، وإنما تتناوله سورة الأحزاب. وهذه السورة تتحدث عن سلوك المرأة الاجتماعي، وما ينبغي أن تكون عليه حياة المرأة مع محارمها. وأما الأحكام الخاصة بالاحتجاب من الأجنبي فلم تتعرض لها هذه الآية. ولم يتنبه لهذا الأمر بعض كبار أهل العلم، ففرق بين الاستثنائين، والحق أن المستثنى منه واحد، والمستثنى متعدد. وكل واحد من الاستثنائين يرجعان إلى مسألة بعينها.

* * *

تأملات دعوية بين المصالح الشخصية والمصالح الدعوية

بقلم: **الأستاذ محمد بن عبد الله الدويش**

لاشك أن مراعاة المصالح الشرعية أمر جاء به الدين؛ بل «إن الله بعث الرسل لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها»[١]، وحيث إن الدعوة تتعامل مع قضايا المجتمع: فهي لا تنفك عن ارتباطها بالمصالح والمفاسد.

فأحيانًا تصبح الدعوة إلى أمر من الأمور خلافًا للمصلحة، وقد يكون من المصلحة ألا تقال هذه الكلمة، وألا يقف الدعاة هذا الموقف، فقد ترك النبي -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ مراعاة للمصلحة، فعن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي أن رسول الله -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لها: «ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت، فقال عبد الله (رضي الله عنه): لئن كانت عائشة (رضي الله عنها) سمعت هذا من رسول الله -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ما أرى رسول الله -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم[٢].

إلا أنه قد تدخل عوامل شخصية ذاتية، ويخلط بعض الناس بين مصالح الدعوة ومصالحه الشخصية. فقد يشعر الداعية أن قيامه بهذا الأمر لا يحقق المصلحة، أو أنه يفوت بعض المكاسب؛ لكنه ينسى في غمرة الأحداث، وسيطرة مطالب النفس ورغباتها أن هذه المصالح لا تعدو أن تكون شخصية، أو أن ما فات لا يعدو أن يكون مكاسب دنيوية.

إن من سنة الله تبارك وتعالى في الدعوات أن تحتاج لتضحيات، وأن تترتب عليها تبعات، وأن يضحي صاحبها وتفوته مكاسب كان يؤمل فيها، فهل هذا من المصالح التي يجب أن يراعيها الداعية؟ أم إنها من المصالح الشخصية؟

إن من يقرأ كتاب الله يرى ما واجه الأنبياء

والمصلحين من أقوامهم، ويرى ما بذلوه من جهد وما قدموه من تضحيات، فيدرك أنها سنة قائمة لمن سار على هذا الطريق، وأننا حين نريد طريقًا نحافظ فيه على مكتسباتنا ومصالحنا الشخصية ونضن بها، فنحن نريد غير طريقهم.

وفرق بين أن يسوغ للإنسان ترك الأمر والنهي في موقف معين مع أن ذلك لا يجب عليه؛ بل ربما كان الأفضل وأن يكون هذا هو المصلحة الشخصية.

وقل مثل ذلك في المكاسب الشخصية، فقد يجيِّر الداعية مكاسبه الشخصية ومصالحه للدعوة، فيرى أن حصوله على شهادة، أو توليه لوظيفة مرموقة، أو تحسن أوضاعه الاقتصادية.. مصلحة دعوية لا يسوغ التفريط فيها، ويرى أن الدعاة يجب أن يتميزوا في مستوى تعليمهم، ومظاهرهم، ووظائفهم.

نعم: إن ذلك مطلوب، لكن حين ترى ذاك النموذج من الناس، الذي يستميت وراء تحقيق هذه المكاسب الشخصية، ويسعى إليها، ويبذل الجهد والوقت من أجلها، وهو لا يبذل لدعوته معشار ما يبذله لتحقيق هذه المكاسب الشخصية.. تدرك أنه حين يحصل على هذه المكاسب فليس بالضرورة انتظار تقديمه المفيد لدعوته، وكم هم الناس الذين دخلوا في ميادين التجارة وطلب المال بحجة أن الداعية يجب أن يستقل في مصدر رزقه، وألا يعتمد على غيره، وأخيرًا، حين انفتحت له أبواب الدنيا، استقال من الدعوة، وولاها ظهره، وأقبل على دنياه.

ولله در الإمام الشاطبي حين قال: «المصالح المجتلبة شرعًا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية»(٣).

وقال أيضًا: «ومع ذلك: فالمعتبر إنما هو الأمر الأعظم، وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا، لا من حيث أهواء النفوس»(٤).

إن استحضار التقوى والتجرد لله (تبارك وتعالى) وسؤاله التوفيق... والإخلاص، والتوقف ومراجعة النفس عند كل خطوة، إضافةً إلى التجرد من حب الدنيا والتعلق بها.. كل ذلك مما يعين المرء على تجاوز تلك المهالك.

❋ ❋ ❋

الهوامش:

(١) مجموع الفتاوى، ٩٦/١٣.
(٢) رواه البخاري، ح/١٥٨٣، ومسلم، ح/١٣٣٣.
(٣) الموافقات، ٢٩/٢.
(٤) الموافقات، ٣٠/٢.

❋ ❋ ❋

نصائحُ أُخُويّةٌ لِطلاّب المدارس الإسلاميّة

بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد

بقلم: **الأستاذ عبد الرؤوف خان الغزنوي الأفغاني القاسمي**(*)

المدارسُ الإسلاميّة الأهليّة في شبه القارة الهندية المنتميةُ إلى الجامعة الإسلامية «دارالعلوم ديوبند» تتّبع نظامًا تعليميًّا فريدًا مُنسَّقًا ومتينًا، فهي تعتمد في اختباراتها وإجازاتها على التقويم الهجريّ القمريّ دون الميلاديّ الشمسيّ، فلاتهتمّ في نظامها التعليمي بالفصول السنوية الشمسيّة من الربيع والصيف والخريف والشتاء؛ بل هي تعتني بالشهور القمريّة فيُبدأ عامُها الدراسيُّ دائما باختبارات الالتحاق في نهاية الأسبوع الأوّل من شهر شوّال وينتهي بانتهاء الاختبارات السنوية في شهر شعبان، ثم تكون إجازةٌ سنوية في الأيام الباقية من شهر شعبان وتستمرّ إلى نهاية نحو الأسبوع الأوّل من شهر شوّال.

فبمناسبة بدء العام الدراسيّ الجديد أودّ أن أقدمّ نصائحَ أخويّةً للإخوة الطلاّب، عسىٰ أن تكون وسيلة لتقدّمهم العلميّ ونجاحهم الأخرويّ، وتكون كالسلّم لهم في الحصول على المؤهّلات العلميّة السامية والقدرات التربويّة الفائقة، فأقول مستعينًا بالله عزّ وجلّ: إن على كل طالبٍ للعلوم الدينيّة أن يهتمّ بما يلي:

أوّلًا: الاهتمام بحسن النية والإخلاص في العمل

أساسُ عبادات المؤمن وأعماله هو الإخلاصُ وتنقيحُ النيّة عن الشوائب والأغراض المفسِدة، فعلى طالب العلوم الدينية أن يكون غرضه من كسب العلوم رِضا الله عزّ وجلّ وخدمةَ الدين والانضمامَ في المستقبل إلى صفوف وَرَثة الأنبياء عليهم السلام من العلماء العاملين المخلصين، فيستعدّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العقيدة الصحيحة عن طريق اليد واللسان والقلم والقلب، ويستعدّ للصبر على ما يصيبه في هذا السبيل من الأَزَمات المتنوِّعة والآلام المختلفة مقتديًا بهدي أنبياء الله عليهم السلام ومقتفيًا لآثار السلف الصالح لهذه الأمّة.

ولأجل أهميّة النية وكونها أساسًا للأعمال صدّر الإمامُ محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله– وعددٌ من أهل العلم كتبَهم بماروى عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئٍ ما نوىٰ» (الحديث).

(*) أستاذ سابقًا بالجامعة الإسلامية: دارالعلوم ديوبند– الهند وأستاذ حاليًّا بجامعة العلوم الإسلامية كراتشي– باكستان.

وقد حذّر النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المتعلّمَ للعلوم الدينية مِنْ تعلُّمها لغير وجه الله، وأنذَرَه بحرمانِه من الجنة وسقوطِه في النار إذا كان غرضه من طلب العلوم الدينية عَرَضًا من الدنيا! فعن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من تعلَّم علمًا ممّا يُبْتَغىٰ به وجهُ الله لايتعلّمه إلّا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة يعنى ريحَها» (رواه أبوداود وابن ماجه).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «إن أوّل الناس يقضىٰ عليه يوم القيامة رجلٌ استُشْهِد فأُتِيَ به فعرّفه نِعَمَه فعَرَفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشْهِدْتُ، قال: كذبتَ، ولكنّكَ قاتلتَ لِأن يقال: جرِئٌ، فقد قيل، ثمّ أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار. ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآنَ، فأُتِيَ به فعرَّفَه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العلمَ وعَلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمتَ العلمَ ليقال إنك عالم، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئٌ، فقد قيل، ثمّ أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلْقِي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأُتِي به فعَرَّفه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنْفَق فيها إلّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنّك فعلتَ ليقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثمّ أُمِرَ به فسُحِب على وجهه ثمّ أُلقِي في النار» (رواه مسلم).

ثانيًا: الالتزام بتقوى الله

يجب على طالب العلم أن يكون ملتزِمًا بالأعمال الصالحة ومجتنبًا ظاهرَ الإثم وباطنَه، وذلك هو التقوىٰ، والتزامُ طالب العلم بالتقوىٰ يورثه البصيرةَ والتقدُّمَ في العلم، والمقدرةَ على الفرق بين الحق والباطل، يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ الآية﴾ (البقرة:٢٨٢) ويقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا الآية﴾ (الأنفال: ٢٩)، ويقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ الآية﴾ (الحديد:٢٨).

فالاهتمامُ بالأعمال الصالحة واجتنابُ المعاصي ظاهرِها وباطنِها يسبّبان نورَ العلم ويؤدّيان إلى قوّة الذاكرة، ونعم ما أنشده الإمام الشافعي:

شكوتُ إلىٰ وكيع سوء حفظي
فأرشَدَني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ
ونورُ الله لايُهدىٰ لِعاصي

ثالثًا: الاعتناء بتوقير الأساتذة والمشايخ

إن من آداب طلب العلم أن يكون طالب العلم حاملًا آدابًا عاليةً رفيعةً، ومعتنِيًا بتوقير شيوخه وأساتذته الذين يقومون بتعليمه وتربيته؛ فإن طالب العلم إذا لم يوقّر شيخه لم يكد يستفيد من علومه، وإن استفاد بعضَ الاستفادة بصفةٍ عاجلةٍ فلاتستمرّ ثِمارُ تلك الاستفادة معه وربّما لاتُثمِر قطّ ولنعم ما قال الشاعر:

إن المعلِّمَ والطبيبَ كليهمـا
لاينصحان إذاهما لم يُكْرَمـا
فاصبر لدائك إن جفوتَ طبيبَه
واقنَع بجهلك إن جفوتَ مُعلِّما

وإذا درسنا حياةَ العلماء الذين مَلَأَطِيبُ ذكرهم مـشارقَ الأرض ومغاربَهـا، ونـالوا مقامـاتٍ علميّـةً رفيعةً، وأُوتُوا مواهبَ ذاتيةً فذّةً، علمنا أنهم قد كانوا في زمـن طلـبهم للعلـوم الدينيـة ملازمـين لِـشيوخهم، عـاملين بنـصائحهم وتعلـيماتهم، قـائمين بـاحترامهم وتوقيرهم وخدمتهم. وصَدَق إمام الحرمين إذ قال:

أخي لـن تنال العلمَ إلاّ بستّةٍ
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ، وحرصٌ، وافتقارٌ، وغربةٌ
وتلقينُ أستاذٍ، وطولُ زمان

رابعًا: الاستعداد لِـمواجَهة الصعوبات في تحصيل العلم

إن مرحلـة تحـصيل العلـم تحتـاج إلى تحمّـل الشدائد والمِحَن والتضحيات، وإلى مواجهة السَّهَر والفقر والجوع والعطش، وإلى الصبر على الأَزَمات التي تأخذ بالأنفاس والتلابيب، فلابدّ لطالب العلم من أن يكون متيقِّظًا مستعدًّا لِتحمّل المشاقّ في سبيل تحصيل العلـم، ومجتهـدًا في دراسـته اجتهـادًا كـاملًا وقـائمًا بـالرحلات العلمية للوصـول إلى منابع العلـم وإلى مجـالس العلـماء الربّـانيّين عـلى بعـد أمكنـتهم ومشقّة الوِفادة إليهم؛ فإن الرحلة في طلب العلم من مزايا وخصائص هذه الأمّة. وقد عقد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله- في كتاب العلـم مـن صـحيحه بابًـا بعنـوان «بـاب الخـروج في طلـب العلم» وذكر تحته تعليقًا: «ورَحَل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديثٍ واحدٍ»، وحكى الحافظ ابـن حجر في شرح البـاب نفسه من كتابـه «فـتح البـاري» خـبرَ أبي أيـوب الأنـصاري – رضي الله عنـه- أنـه رحـل مـن المدينـة إلى مـصر في حديث واحد لِعقبة بن عامر الجهني –رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ-.

فيجـب عـلى طالـب العلـم أن يكـون مـستعدًّا للتـضحيات ومجتنبًـا الكسلَ والتـوانيَ وفتـورَ العـزم، وصدق ابن فارس اللغوي إذ أنشَدَ:

إذا كان يؤذيك حرُّ المصيف
ويُبْسُ الخريف وبردُ الشتا
ويُلْهيك حسنُ زمان الربيع
فأخذُك للعلم قل لي متىٰ؟

وأمـا الطالـب الـذي استلذّ المطاعِم واستجمل الملابـسَ، واسـتروح الراحـةَ، واسـتحلى الرفاهيـةَ، وشـغَلَه الهـاتفُ الجـوّال ومـا شـابَهَه عـن الأخـذ والتحصيل ومراجعة الكتب – كما يُشاهَد اليومَ مع الأسـف الـشديد في كثـير مـن الطلاّب- فقـد أضـاع عمـرَه الثمـين فـيما لايعنيـه، ولم يـصل إلى غايتـه المنشودة، وصدق الشاعر إذ قال:

ومن رام العُلىٰ من غير كدٍّ
أضاع العمرَ في طلب المحال

وفّـق الله تعـالىٰ طـلاّبَ العلـوم الدينيـة لأن يتمسّكوا بهذه العناصر الأربعة المستفادة من الكتاب والـسنة وسِـيَرَ سـلفنا الـصالح، لتحقيـق أهـدافهم العلمية الغالية، وحفِظَهم الله عزّ وجلّ من التكاسل والتواني والتهاون، إنه هو الموفّق والمعين.

الإعجاز الرباني في شجرة الزيتون

بقلم: د. علي فؤاد علي مخيمر(*)

الزيتون من الأشجار المباركة والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم سبع مرات، وأوصى النبي ﷺ أمته بأن يأكلوا من زيتها ويدهنوا به، وقد ثبت علميًا فوائد أكل زيت الزيتون والدهان به.

فعندما يذكر رب العزة في كتابه شيئًا من الطعام أو الشراب فإن فيه شفاء بإذن الله؛ لأنه هو الخالق والعالم بما ينفع ويضر الإنسان قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣).

أقسم رب العزة بها لعلمه الأزلي أنها مباركة مفيدة للإنسان، ولعل في النسبة بين ذكر التين مرة واحدة وذكر الزيتون وزيته سبع مرات حكمة تحتاج منا إلى شيء من البحث والتحقق.

الزيتون في السنة النبوية المطهرة

لقد نبهتنا السنة النبوية المطهرة القولية والفعلية على أهمية استعمال زيت الزيتون سواء في الطعام أو في الدهان وكان عليه الصلاة والسلام يأكل زيت الزيتون ويدهن به وأعلمنا أن شجرة الزيتون شجرة مباركة. عن أبي أسيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» (رواه الترمذي وأحمد والحاكم).

والزيت هنا هو زيت الزيتون والشجرة المباركة هي شجرة الزيتون والدهن الذي يخرج من ثمره هو زيت الزيتون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «في الزيتون منافع منهايسرج الزيت وهو إدام ودهان، ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله، وليس فيه شيء إلا فيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإبريم وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبيًا بالبركة منهم سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وسيدنا محمد ﷺ فإنه قال: «اللّهم بارك في الزيت والزيتون»».

بماذا تمتاز أشجار الزيتون؟

تتميز بأنها أشجار معمرة حيث يمكن للشجرة الواحدة أن تعيش لأكثر من ألفي سنة دائمة الخضرة تتحمل الجفاف بشكل كبير وثمرتها من أهم ثمار الزيوت النباتية إذ يشكل زيتها ما بين ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من وزن الثمرة في المتوسط.

فالشجرة مباركة فعلًا حيث إننا نستفيد من زيتونها وزيتها وخشبها وورقها، وتكون الثمرة في البداية خضراء داكنة ثم تتحول إلى سمراء بعد نضجها،

(*) عضو مجلس الإدارة ورئيس اللجنة الطبية.

ومن أخطر ما يجري هو صبغ الزيتون الأخضر ليظهر كزيتون أسود لما في هذه الأصباغ من مضار صعبة واحتمال احتوائها على مواد مسرطنة.

فالزيتون ممتاز للأكل بعد تغسيله وتخليله وزيت الزيتون من أفضل الزيوت ومع أنه زيت إلا أنه غير ضار وهو يفيد القلب كما سنرى لاحقًا، كما توجد في أوراق الزيتون مادة دهنية غير مشبعة مضادة للجراثيم حيث تمنع نمو البكتريا والطفيليات عليها ويمكن نقع الورق وشرب السائل الناتج عنه.

أما خشب أشجار الزيتون فهو قاسٍ وفيه عروق جميلة مما يجعله خشبًا فخمًا للاستخدام في صناعة التحف وغيرها كما هو غني بالمواد الحافظة التي تمنع تلفه وتسويسه وإصابته بالحشرات أو الأرضة (النمل الأبيض) والذي يعتبر من ألد أعداء المواد الخشبية.

ويتكون زيت الزيتون من عدد من المركبات الكيميائية المهمة والتي منهامركبات الجليسرين والأحماض الدهنية والأملاح والفيتامينات وغيرها.

وقد ثبت بالدراسة أن أفضل الزيوت النباتية على الإطلاق هو زيت الزيتون وذلك لما أعطاه الله تعالى من خاصية خفض ضغط الدم وتقليل امتصاص الجسم للكوليسترول بصفة عامة.

هذا ما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة في العقود المتأخرة من القرن العشرين فتعتبر هذه الإشارات من المعجزات العلمية للقرآن الكريم وللسنة المطهرة.

تاريخ زيت الزيتون:

موطن شجرة الزيتون هو سوريا وأكد الباحثون أن مملكة (إيبلا) شمال سوريا كانت مهدًا لزراعة الزيتون ويعود تاريخ شجرة الزيتون في سوريا إلى الألف الثالث قبل الميلاد. وقد ورد ذكر الزيتون في التوراة «أطلق نوح الحمامة ليرى ما إذا كانت المياه قد جفت عن الأرض فعادت إليه الحمامة وفي فيها ورقة زيتون خضراء».

اكتشف أن الفراعنة كانوا يستعملونه في التحنيط، فشجرة الزيتون تعيش لفترات طويلة جدًّا ومعدل نموها بطيء وهناك أشجار في القدس يقدر عمرها بـ٢٠٠٠ عام (أي من أيام المسيح عليه السلام) وأخرى في إيطاليا بـ٣٠٠٠ عام.

الزيتون في الطب القديم

أثنى الأطباء القدماء كثيرًا على الزيتون وزيته وورقه وأجزائه الأخرى وقالوا: إن الزيتون يجوِّد الشهوة للطعام ويقوي المعدة ويفتح السدد ويحسن الألوان ويسمن وهو هاضم ويقوي الأعضاء.

وورق الزيتون إذا مضغ أذهب فساد اللثة والقُلاع وأورام الحلق وإذا دُق وضمد بمائه أوبعصارته منع الحمرة والنملة والقروح والأورام حتى أنهم قالوا عن ورق الزيتون: إن دقت الأوراق والأطراف الغضة ووضعت فوق العُرقوب بأربعة أصابع جذب ما في عرق النسا من التهابات وآلام وأبرأه.

وإن طبخ الورق سكن النقرس والمفاصل، وعصارته إذا حقن بها أذهبت قروح الأمعاء والمعدة.

حتى رماده قالوا قديمًا عنه إذا مزج بماء التمر والعسل يذهب داء الثعلبة والحبة والسفعة.

وصمغ شجرة الزيتون يلصق الجراح ويصلح الأسنان المتأكلة ويقطع السعال المزمن.

ولب النوى إذا ضمدت به الأظفار البرصة قطع برصها.

والرطوبة السائلة من قضبانه – عند حرقه – حل جيد للدمعةوالسيل ورخاوة الأجفان.

وقالوا أيضًا: أي جزء منه هو نافع إذاطبخ وطلي به نفع الصداع المزمن والدوار.

أما عن زيته فقالوا: فيه خاصية الإرخاء والتلطيف ويستعمل في التهاب الرئة والمعدة وفي

مضادة الديدان والإمساك التشنجي ويصلح الهضم ويغذي جميع أجهزة الجسم.

الفوائد الطبية للزيتون في الطب الحديث

لزيت الزيتون فوائد طبية كثيرة فقد وصف الزيتون وزيته في الطب الحديث بأنه مغذ وملين ومدر للصفراء، مفتت للحصى، محارب للإمساك مفيد لمرضى السكر ويستعمل في هذه الحالات بتناول ملعقة إلى ملعقتين من الزيت مرة في الصباح ومرة قبل النوم ويمكن إضافة عصير الليمون إليه.

ويفيد الزيتون في حالات الدمامل وفقر الدم والأكزيما وحساسية الجلد وتشقق الأيدي من البرد والقوباء والكساح، والسيلان الصديدي وسقوط الشعر والعناية بجلد الوجه والجسد، حيث توضع عليه كمادات من الزيتون الناضج المهروس ولمعالجة فقر الدم والكساح في الأطفال يفرك الجسم بزيت الزيتون.

ولمعالجة الروماتيزم والتهاب الأعصاب والتواء المفاصل يصنع مرهم من رأس ثوم يبشر في ٢٠٠ جرام من زيت الزيتون وبعد نقعه يومين أو ثلاثة يفرك به مكان الوجع مرات عدة ويستعمل لمنع سقوط الشعر حيث تفرك جلدة الرأس بزيت الزيتون مساء لمدة عشرة أيام وتغطى ليلًا وتغسل في الصباح.

كذلك من فوائده الجنسية أنه يزيد في الانتصاب عند الرجال فيهرس الثوم في زيت الزيتون على نار هادئة ويبرد ويدهن به العانة.

ولعلاج الإمساك التشنجي تصنع حقنة شرجية من ٢٠٠-٤٠٠ جم من زيت الزيتون مع نصف لتر ماء.

كما أن له دورًا في تقوية جهاز المناعة ولهذا يفيد في علاج الأمراض الفيروسية ومرضى الذئبة والالتهاب الكبدي والإيدز والصدفية وعدوى المثانة وعلاج البواسير ومدر خفيف للبول.

وقد ثبت علميًا أن الأوراق بها مادة فعالة مضادة للأكسدة تمنع وتزيل تصلب الشرايين وتعيد للأنسجة حيويتها لوجود فيتامين E والزيتون به أيضًا ثلاثة مضادات أكسدة قوية كما يوجد بالزيت نسبة عالية من الدهون غير المشبعة وفيتامين E, k.

وبما أن زيت الزيتون يحتوي على زيوت غير مشبعة لذا فإنه لا يتأكسد (يزنخ)؛ لأن هذه الزيوت مكونة من حامض أوليك التي تقلل نسبة الكوليسترول منخفضة الكثافة الضارَ وتزيد نسبة الكوليسترول مرتفع الكثافة النافع، وهذه الدهون جعلت الشعوب التي تتناول زيت الزيتون بكثرة لا تصاب بأمراض الأوعية الدموية والقلبية كما يقلل الإصابة بسرطان الثدي والأمعاء والجلد.

وقد ثبت علميًا أن تناول زيت الزيتون باستمرار يسهم في إبعاد شبح الشيخوخة عن الإنسان فهو يحتوي على الكثير من الأحماض الضرورية لجسم الإنسان الأمر الذي يساعد على مقاومة الشيخوخة كذلك يساعد على زيادة نسبة الذكاء لدى الأشخاص الذين يتناولونه باستمرار.

ويعمل كذلك على إزالة المواد الدهنية من الجسم سواء في الدم أو في الألياف العضلية للإنسان إذا إن زيت الزيتون يعمل على طرد الكوليسترول من جسم الإنسان ويسهم في مقاومة أمراض السرطان.

ومن هنا نستطيع أن نقول: يجب استبدال كل أنواع الدهون التي يتناولها الإنسان، وخاصة بعد سن الأربعين بزيت طازج وهو زيت الزيتون.

فهل بعد ذلك لا نأكل زيت الزيتون ولا ندهن به ونعتني بشجرة الزيتون تلك الشجرة المباركة، وصدق المعصوم ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة» فالشجرة مباركة والزيت مبارك ولكن كثيرًا من الناس عنه غافلون، فزيت الزيتون هبة من الله تعالى للإنسان فهنيئًا لمن نال من تلك البركات.

من حقوق المرأة المالية في الإسلام: النفقة

إعداد: **د. عبد العظيم أبو زيد**(*)

أوجب الإسلام النفقة للمرأة عمومًا صيانةً لها من الاضطرار إلى العمل الذي قد يحط من قدرها وأنوثتها، ويعرضها للابتذال والاستغلال، ثم كرامةً لها أمًا و أختًا وعمة وزوجة وغير ذلك. ولكل امرأة في الإسلام نفقة واجبة على قريب أو زوج، وإن لم يوجد أحد هؤلاء، فعلى بيت مال المسلمين.

والنفقة شاملة لكل أساسيات الحياة من طعام وشراب ومسكن، وهذا الإيجاب يتناسب مع ما قدمنا من طبيعة المرأة والواجبات الملقاة على عاتقها. وهو مقيد بضوابط وأحكام، يراد منها تلبية حاجة المرأة دون إرهاق الرجل؛ بل مع مراعاة حقوقه مقابل إيجاب النفقة عليه، وقدرته على القيام بهذا الواجب.

والمرأة من حيث لزوم النفقة لها على نوعين:

أولاً: المرأة قريبةً لا زوجة

ينفق على المرأة غير المتزوجة أحد فروعها أو أصولها أو غيرهما حسب نوعية القرابة الموجبة للإنفاق.

وفي الأحوال الآتية يسقط عن القريب وجوب النفقة على المرأة، وتلزم هي بالإنفاق على نفسها:

* إذا كانت غنية سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وسواء أكانت أمًّا أم جدةً وسواء أكانت بنتًا أم أختًا ونحو ذلك.

* إذا كان من تلزمه نفقتها معسرا، فتلزم من يليه في القرابة(١٠).

* إذا كان من تلزمه نفقتها مرتدًّا أو حربيًّا أو كانت هي كذلك(١١). وذهب بعض الفقهاء إلى عدم وجوب النفقة للأقارب مع اختلاف الدين(١٢).

نفقة البنات

نفقة المرأة إن كانت بنتًا واجبة على أبيها، ووجوبها على البنت آكد من وجوبها على الولد الذكر؛ لأنها تجب للذكر على أبيه إلى أن يبلغ حد الكسب، حيث للأب حينئذ أن يدفعه في حرفة ليكتسب وينفق عليه من كسبه. أما البنت فتلزمه نفقتها أبدًا ما دامت عنده ولم تتزوج وليس له أن يجبرها على العمل؛ إلا أن يكون لها مال فتنفق أو ينفق عليها من مالها(١٣).

نفقة الأم

لو لم يكن للمرأة زوج، أو كان لها زوج لكنه غير قادر على نفقة زوجته، فنفقتها تجب على ابنها

(*) أستاذ في كلية الشريعة من جامعة دمشق، معار حاليًا إلى كلية الاقتصاد من الجامعة العالية بماليزيا.

منه، أو ابنها منها فقط إن لم يكن للزوج ابن من غيرها، فينفق الابن على أمه ليرجع على زوج أمه عند يساره.

ومن تميز المرأة على الرجل في النفقة كذلك أنه لو لم يقدر الابن إلا على نفقة أحد والديه فالأم أحق، فتقدم على الأب، فتلزمه نفقتها هي. ففي كل الأحوال تجد الأمُّ من يتكفل بنفقتها في الإسلام، فلا تضطر إلى عمل أو إلى تكفف الناس، وذاك من الإحسان إليها ومن شكر أمومتها. وهي أبدًا صاحبة نصيب في الميراث، فلا يقوى وارث على حجبها، ونصيبها في الميراث إما السدس وإما الثلث[١٤].

ثانيًا: المرأة زوجةً (نفقة الزوجة)

نفقة الزوجة واجبة على زوجها ولو كانت غنيةً، أو عاملةً ذات دخل، فلا تضطر إلى الإنفاق من مالها؛ بل ينفق عليها زوجها، وإن المرأة بطبيعتها لتسعد باليسير يقدمه إليها زوجها من الغالي النفيس الذي تشتريه بمالها.

ونفقة الزوجة تشمل الطعام والشراب والسكن؛ بل والخادمة إن كانت منزلتها الاجتماعية تقتضي أن يكون لهاخادمة وكان الزوج موسرًا قادرًا على ذلك. وقد قال تعالى في هذا: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣٣).

وفي الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله رجل: ما حق المرأة على الزوج؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبّح – أي لا تقل لامرأتك قبّحها الله – ولا تهجر إلا في البيت»[١٥].

ونفقة الزوجة هذه على زوجها هي من قبل نفقة المعاوضة عند أكثر الفقهاء، وهي أقوى من نفقة الحاجة، أي أنها تجب لها على الزوج مقابل احتباسها لأجله[١٦]، ولهذا إذا تأخر الزوج في دفعها وأنفقت هي على نفسها مثلًا أو أنفق عليها غير الزوج؛ فإنها تصبح دينًا على الزوج، فيجب عليه دفعها إلى زوجته. وهي بذلك تختلف عن نفقة القريب؛ فإنها لأجل سد الحاجة، وليست معاوضةً، فتسقط بمضي الزمان. وعليه إذا وجبت على الرجل نفقة أبيه مثلًا، لأنه فقير عاجز ثم ترك النفقة عليه شهرًا مثلًا، فليس من حق الأب أن يطالب ابنه بنفقة ما مضى. أما لو غاب الرجل عن زوجته شهرًا مثلًا وتركها بدون نفقة، أو قطع نفقتها، فأنفقت هي على نفسها أو أنفق عليها غيره، فلها أن تطالبه بنفقة ذلك الشهر[١٧].

عمل المرأة لا يسقط حقها في النفقة

عمل المرأة لا يسقط حقها في النفقة إلا إن كان بغير موافقة الزوج، ومع موافقة الزوج يبقى حقها في النفقة، فلا يجب عليها أن تنفق من كسبها؛ بل هو خاص بها تضعه حيث شاءت.

وإذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته ذهب في منعها عن العمل، فلها أن تعمل حينئذ ولو كانت غنيةً لا تحتاج إلى العمل للإنفاق على نفسها؛ لأنها لا يجب عليها أن تطيعه في هذا وقد قصر بما يجب عليه من نفقة.

وللزوج في الأصل الحق في منع زوجته عن العمل؛ لأنها لا تفرغ نفسها له حينئذ، وعملها قد يضر به، ولأنها بالعمل تتعب، والتعب يذهب جمالها وجمالها حق الزوج، ثم إن نفقتها واجبة عليه، فهي لا تحتاج إلى العمل، فكان له أن يمنعها لذلك[١٨].

وإن كان العمل مما لا ضرر له فيه، فورد عن الحنفية أنه لا وجه لمنعها عنه، ولا سيما في حال غيبته عن البيت؛ لكن يتقيد أن يكون خروجها من البيت بإذن الزوج[١٩].

هل لامتناع المرأة عن السفر مع زوجها أثر على نفقتها؟

ذهب أكثر الفقهاء إلى أن الزوجة إن رفضت السفر مع زوجها سقطت نفقتها إلا أن تكون قد شرطت عليه في عقد النكاح ألا يسافر بها، فلا تسقط نفقتها حينئذ في قول بعض الفقهاء؛ لأن هذا من الشروط التي يجب الوفاء بها[٢٠].

وبالمقابل ذهب البعض – أبو حنيفة في قول – إلى أنه ليس للزوج أن يخرج زوجته من بلدها إلى بلد غيره إلا برضاها، لأن الغربة تؤذيها إذا لم يكن لها فيها قرابة ومعارف، فلا تعد حينئذ ناشزًا بتركها السفر معه، وبالتالي لا تسقط نفقتها[٢١].

وله يجب التفريق بين سفر ضروري وسفر غير ضروري، ومن السفر الضروري السفر لطلب العلم أو عند تعذر الكسب في بلد الزوجين، فيجب على الزوجة حينئذ أن تصحب زوجها وتعد ناشزًا بترك السفر معه فتسقط نفقتها.

نفقة اللباس والسكن

ليس لنفقة اللباس تقدير في الشرع؛ بل قال الفقهاء: إن على الزوج أن يكسو زوجته باعتبار حالته المادية واعتبار مرتبتها الاجتماعية بحسب العرف عملًا بالآية: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة، الآية٢٣٣)، فإن الكسوة بالمعروف هي الكسوة التي جرت عادة أمثالها بلبسه[٢٢]؛ أي فإن كانت مثلًا من طبقةٍ موسرة، فإن عليه إن كان قادرا أن يشتري لها فاخر الثياب الذي اعتادت لبسه قبل زواجها.

وقد قدر بعض الفقهاء الكسوة بلباس للصيف وآخر للشتاء كل عام، والأرجح الذي نراه الرجوع إلى العرف في هذه المسألة لتقدير الكسوة باعتبار حال الزوجين ماليًّا واجتماعيًّا.

ومثل الكسوة السكن، فإنه يجب للزوجة إسكانها في بيت مستقل لائق بها. ودليل أصل هذا الحق قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ (سورة الطلاق، آية٦). فإذا وجبت السكنى للمطلقات، وهن المرادات بالآية، فوجوبها للزوجات أولى. أما كون البيت لائقا بها، فلأنه من المعاشرة بالمعروف الواجبة على الزوج ﴿وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة النساء، آية١٩) ولكن بحسب قدرة الزواج المادية، أي بحسب حاله يسارًا أو إعسارًا لأن الآية تقول ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ أي وسعكم وطاقتكم[٢٣].

نفقة العلاج والتطبيب

ذكر بعض الفقهاء أن مداواة الزوجة من نفقة

تطبيب الزوجة ودوائها لا تجب على الزوج[٢٤]؛ لكن هذا من الأحكام التي تختلف باختلاف الأحوال واختلاف الأعراف فيما أرى ويرى البعض. فهؤلاء الفقهاء ذكروا أيضًا بالمقابل أن خدمة البيت ليس بواجبة على الزوجة، وفوق هذا، فإن على الزوج أي يحضر لزوجته خادمة لتقوم على شؤونها هي وتخدمها في شؤونها الخاصة بها إن كانت من عائلة اعتادت الخدم. وعليه، إن طلب الزوج من زوجته القيام بشؤون البيت ورضيت بذلك، إذ ليست له أن يجبرها، فإن عليه في المقابل أن يلتزم تطبيبها إن احتاجت العلاج غرمًا بغرم، ولا سيما أن خدمة البيت والولد قد تكون سبب اعتلال المرأة.

نفقة المرأة المعتدة

نفقة المرأة المطلقة طلاقًا رجعيًا واجبة على الزوج؛ لأن المطلقة طلاقًا رجعيًا هي في حكم الزوجة فتجب لها النفقة، كما تجب لها السكنى أيضًا. يقول تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ (سورة الطلاق، آية١).

وتجب النفقة للمطلقة الحامل أيضًا مطلقًا، سواء أكانت مطلقة رجعيًا أو بائنًا، وذلك بسبب الحمل لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (سورة الطلاق، آية٦). ولا تجب النفقة للمعتدة عن طلاق بائن أوللمعتدة عن وفاة، لانقطاع الزوجية بالبائن وبالوفاة، فلا يبقى سبب صالح لبقاء النفقة[٢٥].

* * *

الهوامش:

(١٠) انظر مغني المحتاج ٤٤٧/٣.

(١١) انظر المبسوط للسرخسي ٢٢٨/٣. وانظر تبيين الحقائق للزيلعي ٦٣/٣.

(١٢) ذهب الحنابلة إلى عدم وجوب النفقة للأقارب مع اختلاف الدين، وهو قول للمالكية. وهو قول الحنفية في غير الفروع والأصول؛ فلا تجب نفقة النصراني على أخيه المسلم ولا نفقة المسلم على أخيه النصراني. انظر شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ٩٨/٢، بدائع الصنائع ٤٤٥/٣، المغني ٢٥٨/٩.

(١٣) بدائع الصنائع ٤٣٩/٣.

(١٤) بدائع الصنائع ٤٣٩/٣.

(١٥) رواه أبو داود في سننه ٦٥١/١، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (٢١٤٢).

(١٦) يرى بعض الفقهاء، وهم الشافعية والمالكية في قول لهم أن النفقة تجب في مقابلة التمكين من الاستمتاع في عقد الزواج. «مغني المحتاج ٤٣٦/٣»، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٩٥/٢، نهاية المحتاج ١٩٥/٧، المجموع في شرح المهذب، ج٢٨٧/١٥، ٢٩٠.

(١٧) يرى الحنفية أن نفقة الزوجة تسقط بمضي الزمان ويوافقهم المالكية في حال كون الزوج معسرًا؛ لأنهم يعدون النفقة صلة، والصلات لا تتم إلا بالقبض، فالنفقة عندهم لا تثبت بطريق المعاوضة؛ بل بطريق الصلة، فلا تتأكد إلا بالقضاء أو التراضي؛ لأنها نفقة مشروعة للكفاية فلا تصير دينًا بدون القضاء، ولأنها نفقة مضت استغنى عنها بمضي وقتها فتسقط كنفقة الأقارب. ويرى الشافعية والراجح عند الحنابلة والمالكية مع اليسار أنها لا تسقط بمضي الزمان بل تعد دينًا عليه؛ لأنه مال يجب على سبيل البدل في عقدها معاوضة جزاء الاحتباس فلا تسقط بمضي الزمان. انظر المغني لابن قدامة ٥٧٨/٧، المبسوط للسرخسي ١٨٤/٥.

(١٨) انظر حاشية ابن عابدين ٥٧٨/٣.

(١٩) انظر حاشية ابن عابدين ٦٠٣/٣، ٦٠٤، الطبعة الثانية.

(٢٠) المغني ٣٠٠/١٩.

(٢١) انظر تبيين الحقائق للزيلعي ١٥٦/٢.

(٢٢) النظر تفسير ابن كثير ٣٨٠/١.

(٢٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (تفسيرالقرطبي) ١٤٨/١٨.

(٢٤) المغني لابن قدامة ٢٣٣/٩.

(٢٥) بدائع الصنائع ٤١٨/٣؛ المغني لابن قدامة ٢٥٤/٩.

* * *

أربعة ملايين شخص معظمهم مسلمون يعيشون هاجسَ الترحيل

بقلم: **مساعد التحرير**

شهدت الهند في الأيام الأخيرة جدلًا واسعًا حول إسقاط جنسية أربعة ملايين شخص في ولاية آسام الهندية، وذلك بعد ما أصدرت السلطات المعنية ثاني مسودة للسجل القومي في ولاية آسام في رقابة مشددة في الأيام الأخيرة، وضمت هذه المسودة نحو ثلاثين مليون شخص إلى قائمة السجل القومي للمواطنين، وجرّدت أربعة ملايين مقيم في الولاية معظمهم مسلمون، من الجنسية الهندية. وكانت أول مسودة السجل القومي للمواطنين، الصادرة في غرة يناير من هذا العام أكدت جنسية ١٩ مليون شخص.

وأثارت هذه الإجراءات جدلًا واسعًا وغضبًا عارمًا واستياءً كبيرًا في شريحة كبيرة من سكان الولاية الذين لم يرد أسماؤهم في ثاني مسودة السجل القومي للمواطنين. وقال راج ناث سينغ- وزير الداخلية الهندي- في محاولة لتهدئة الأوضاع وتبديد المخاوف في هذا الشأن: «إنه لاداعي لأن يقلق أحد قلقًا غير مبرر، فيما إذا لم تضم المسودة النهائية للسجل القومي للمواطنين اسمَه، فإن الطريق إلى المحكمة (tribunal) مفتوح أمامه، ولن يتم اتخاذ إجراءات ضد أحد».

وأضاف قائلا: «إن هذه الإجراءت حيادية تمامًا، ونؤكد شفافيتها في المستقبل كذلك، وتستمر في إشراف المحكمة العليا الهندية».

ما هو السجل القومي للسكان (N.R.C)؟

بعد تقسيم الهند عام ١٩٤٧م إلى دولتين: الهند وباكستان تحوَّل بعض سكان آسام إلى باكستان الشرقية آنذاك- وبنغلاديش حاليا- وضيعتهم وأراضيهم في آسام الهندية، وظلوا يختلفون من آسام إلى باكستان الشرقية والعكس، ثم تنقل عدد كبير من بنغلاديش إلى آسام الهندية فبدأت هوية المنطقة تشهد التغير الديموغرافي، وتفاقمت قضية «الأجانب» في آسام. واتهم المتحدثون باللغة الآسامية في المنطقة المهاجرين هؤلاء بأنهم استولوا على وظائفهم وأراضيهم، ومحوا لغتهم، وسرقوا ثقافتهم. وتجسدت هذه المشاعر في نزاع مسلح

حيث قامت جماعة من الطلبة معروفة بـ(AASU)، ومؤسسة سياسية أخرى (A.G.P) بعمليات مسلحة عنيفة ضد من يُشتَبَهُ في تسللهم وهجرتهم بصورة غير شرعية من بنغلاديش إلى آسام، مطالبةً بضرورة دحضهم وإعادتهم إلى بلادهم. فشهدت ولاية «آسام» أحداثًا داميةً رهيبةً عام ١٩٧٩-١٩٨٥م، وحدثت خلالها مذبحة «نيلي» المعروفة في الثامن عشر من فبراير عام ١٩٨٣م في حوالي الساعة ٨:٣٠ صباحًا، ذهب ضحيتها مالا يقل عن ألفي مسلم، وكان معظم هؤلاء الضحايا من النساء والأطفال. وتم نقل مَن نجا من لاواء المذبحة إلى مركز شرطة «ناجاون». و وُضع معظمهم في مخيم «نيلي» في حي «ناجاون»، ولم يعودوا إلى قريتهم إلا بعد ١٤ يومًا وبعد أن استعادوا حالتهم الطبيعية. وسجلت الشرطة (٦٨٨) قضية جنائية، أسقطت (٣٧٨) قضية لعدم توفر الأدلة الكافية، وتم تسجيل(٣١٠) قضايا كلوائح اتهام ثم أسقطت القضايا كلها كجزء من اتفاقية آسام، فلم يواجه أحد من الجناة العقاب.

وفي عام ١٩٨٥م توصلت الحكومة الهندية إلى اتفاقية مع حركة طلاب آسام (AASU) وتسمى باتفاقية «أكورد». وبموجب هذه الاتفاقية وعدَت الحكومة بإعداد سجل قومي للسكان من جديد، وعلى كل مقيم في آسام أن يثبت عن طريق الأوراق الثبوتية التي ترجع إلى ما قبل عام ١٩٧١م، والتي تفيد تفاصيل عائلته، وأنه مواطن هندي. ولم تقم الحكومة بالإجراءات الجدية في هذا الصدد، كما خضعت هذه الاتفاقية للألاعيب السياسية، وقامت الحكومة بمبادرة في هذا المجال عام ٢٠١٠م، و بدأت إعداد السجلات القومية للسكان عام ٢٠١٤م، واستمر ذلك حتى عام ٢٠١٦م، على مستوى عالٍ، فقام المقيمون في آسام بتعبئة استمارات خاصة أُعِدَّت لهذا الهدف. وكان عليهم أن يقدموا الأوراق التي تؤكد أمرين: الأول: أن مقدم الطلب مواطن هندي. والأمر الثاني: أن آباءه وأجداده وعائلته كانوا مواطنين هنودًا.

وبالنظر إلى قائمة الناخبين قبل عام ١٩٥١م يتأكد ذلك بوضوح، وأما قائمة الناخبين عام ١٩٥١م فصنفت كثيرًا منهم ضمن «الناخبين المشكوك فيهم»، وطولبوا بتقديم إثباتات مواطنتهم الهندية؛ لأنها ربطت ذلك بعام ١٩٧١م، مما زاد الأمر تعقدًا والتباسًا. وذلك لأن معظم سكان آسام أميون لايقرؤون ولايكتبون، ومن الصعوبة بمكان أن يوفروا الإثباتات التي طولبوا بتقديمها إلى السلطات المعنية.

ومن هذه الأوراق اللازمة لإثبات المواطنة

والمطلوبة من قبل السلطات: أوراق ملكية الأراضي، و أوراق البنوك، ونحو ذلك، ويكاد يستحيل على مواطن أمي أو قليل الثقافة تقديمُ هذه الأوراق، وأما النسوة الفقراء والأميات فمن العبث أن نرجو منهن تقديم هذه الأوراق. نعم كانت ثمة ورقة ثبوتية بإمكانها أن تعين على إثبات مواطنتهم وهي الشهادة الصادرة من مجالس القرى، إلا أن المحكمة العالية في «غواهاتي» رفضت قبولها، وألغت أمثال هذه الطلبات البالغ عددها نحو خمسة ملايين، والمقدمة من السكان، بحجة أنه لابد من ضم إثبات آخر إلى هذه الشهادات، يفيد أن حامله من مواطني الهند. فتعقدت هذه القضية ولم تتمكن الحكومة من عرض السجل القومي للسكان على المحكمة العليا الهندية، وأما الذين طعنوا في قرار المحكمة هذا فتقدموا ببعض الطلبات إلى المحكمة العليا الهندية.

وعملت مسودة السجل القومي للمواطنين على التفريق بين المرء وزوجه، وأبيه وأخيه، فكثرت الشكاوى ضد ذلك. فهذا «حكم علي» من بين الملايين الذين لم يرد أسماؤهم في قائمة مسودة السجل القومي- يقول: «ما أغرب أن أجد اسم والدي في السجل منذ عام ١٩٥١م، وأشارك في عمليات التصويت في الانتخابات منذ أن كنت ابن ثمانية عشر عامًا، واسمي مسجل في قائمة الناخبين؛ ولكنه غير موجود في قائمة السجل القومي.

وذلك عطاء الرحمن – عضو في المجلس التشريعي- في العقد السابع من عمره أصيب بحيرة و ارتباك شديدين، وطار شقين غضبا حين فقد اسمه في قائمة السجل القومي، وتساءل: «أشعر بالارتباك من حدوث ذلك، فأسماء زوجتي وأبنائي مسجلة في مسودة السجل القومي، ولكن اسمي– وأنا رب الأسرة – غير مسجل!.

وهناك انتقادات من قبل جماعات حقوقية بأن المسلمين هم مستهدفون بهذه القائمة، فإن معظم الذين لم يرد أسماؤهم في القائمة هم من المسلمين، الذين يتلقون تهديدات بطردهم والتخلص منهم، و يخافون أن يتكرر لهم ما حدث لمسلمي الروهينجا.

ومن المحتمل أن يبقى ملايين من البشر في وضع معلق غير محسوم لأعوام طويلة وربما لعقود لايعلم مداها إلا الله تعالى دون أن يحصلوا على جنسية في بلد من البلاد.

(صحيفة «راشتريه سهارا» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص١، السنة:١٩، العدد:٦٤٤٠٧، الثلاثاء: ١٧/ذو القعدة ١٤٣٩هـ الموافق ٣١/يوليو ٢٠١٨م؛ صحيفة «خبرين» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص٤، السنة:٨، العدد:٢٢، الأربعاء: ١٨/ذو القعدة ١٤٣٩هـ الموافق غرة أغسطس ٢٠١٨م).

المحكمة العليا الهندية : المثلية ليست جريمة إذا تراضى الطرفان

بعض بنود مادة رقم (٣٧٧) من قانون العقوبات الهندي عشوائية وغير منطقية

بقلم: **مساعد التحرير**

دهلي الجديدة (يوإن آئي)

في قرار تاريخي يوم الخميس ٦/سبتمبر اعتبرت المحكمة العليا الهندية بعض بنود مادة (٣٧٧) من قانون العقوبات الهندي والتزاماتها عشوائيةً وغير منطقية، وأسقطت المثلية الجنسية القائمة بين بالغين إذا تراضيا عليها- من قائمة الجنايات. وقالت لجنة شرعية مكونة من بعض قضاة المحكمة العليا برئاسة قاضي القضاة، وهي تفصل في العرائض المقدمة إليها في شأن الالتزامات التي تفرضها بعض بنود مادة (٣٧٧)-: «إن مجتمع «إل جي بي تي» (L.G.B.T)(1) له ما لغيره من عامة المواطنين في البلاد من الحقوق».

وأضافت المحكمة قائلة: إن بعض التزامات بنود مادة (٣٧٧) عشوائية وغير منطقية، وعلينا أن نحترم حقوق الآخرين».

والجدير بالذكر أن المحكمة أصدرت قرارها وهي تنظر في العرائض المقدمة من قبل الرقاص نوتيج جوهر، والصحفي سونيل مهرا، وشيف ريتودالميا، و رجل الأعمال الفندقي أمن ناث، وعائشة كبورا وعشرين من طلاب المؤسسة الهندية للتكنولوجيا (I.I.T) سابقين، وآخرين من طلابها في العصر الحاضر. فقد تحدى هؤلاء الصفة القانونية لمادة (٣٧٧) في مطالبة بإسقاط العلاقات المثلية من قائمة الجنايات. وبدأ قاضي القضاة الهندي بتلاوة قراره – و وافق عليه قاضٍ آخر– وقال: «المواطنون في البلاد سواسية كأسنان المشط في الحقوق. والحاجة ماسة إلى تعديل عقلية المجتمع، وكل أحد يحق له العيش في المجتمع».

وقال القاضي مشرا: «علينا أن نعدِّل المثل القديمة. وإن مجتمع «إل جي بي تي» (L.G.B.T) له من الحقوق ما لغيره من سكان البلاد. و يجب أن نحترم حقوق الآخرين».

وخطوة المحكمة العليا هذه ألغت الشطر الخاص بتجريم العلاقة الجنسية غير الطبيعية بتراضي الطرفين، من مادة (٣٧٧) من قانون العقوبات الهندي، والذي يعود إلى ١٥٨ سنة في

الماضي. وأما إقامة العلاقة الجنسية غير الطبيعية مع الأطفال والحيوانات فلا زالت جناية كما كانت عليه في الماضي ضمن قائمة الجنايات.

وقالت المحكمة: إن مادة (٣٧٧) كانت تشكل سلاحًا يقلق أعضاء مجتمع «إل جي بي تي» (L.G.B.T) فكانوا يتعرضون للتفرقة الاجتماعية.

وقال القاضي ناريمن في قرار خاص به – وهو يعتبر الميول الجنسية من الأحوال النامية: «إن التمييز على هذا الأساس يعارض الحقوق الأساسية، وأما إقامة علاقة جنسية غير طبيعية بصفة شخصية فلاتضره ولاتتعدى إلى المجتمع».

وأكد القاضي ناريمن في قراره على الحكومة ومجموعات الإعلام بأن تقوم بنشر قرار المحكمة هذا وتعميمه على مستوى موسع، كيلا يتعرض مجتمع «إل جي بي تي» (L.G.B.T) لموقف ينطوي على التمييز.

والجدير بالذكر أن أول من رفع قضية إسقاط المثلية من قائمة الجنايات هي منظمة غير حكومية تدعى: «مؤسسة ناز» (Naaz Foudation) إلى المحكمة العالية في دهلي عام ٢٠٠١م. فاعتبرت المحكمة العالية في قرارها عام ٢٠٠٩م التزامات مادة (٣٧٧) غير قانونية، وأسقطت أمثال هذه العلاقات من قائمة الجنايات. فرفع المدعو/سريش كوشل وغيره القضية ضد هذا القرار إلى المحكمة العليا الهندية، فألغت المحكمة العليا قرار المحكمة العالية عام ٢٠١٣م، وأبت النظر من جديد في العريضة المرفوعة إليها ضد قرارها. ولا زالت عريضة مقدمة إليها لإعادة النظر قيد الدراسة.

وقالت المحكمة العليا: «والإكراه على المثلية ستستمر جنايةً، وإن أسقطنا المثلية الجنسية بتراضي الطرفين من قائمة الجنايات».

وأضافت المحكمة: الحاجة ماسة إلى إعادة النظر في قضية «مؤسسة ناز» المرفوعة عام ٢٠١٣م، فإنه يبدو لنا أنها على صلة بالقضايا الدستورية. وثمة حاجة إلى النظر فيما إذا كانت العلاقة الجسدية بين بالغين جناية. ولايعيشنّ من يختار أحدًا برضاه في جو مشحون بالخوف والذعر».

(صحيفة «راشتريه سهارا» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص١، السنة:١٩، العدد: ٦٤٤٤، الجمعة: ٢٦/ذو الحجة ١٤٣٩هـ الموافق ٧/سبتمبر ٢٠١٨م).

* * *

---

(١) وهو الاندماج الاجتماعي بين كل ما يتشكل من حرف أوائل الكلمات التالية: (lesbian,gay, bisexual,transgender) تشير إلى مثلي الجنس، ومثلية الجنس، ومزدود التوجه الجنسي، والمتحول الجنسي.

رئيس الجامعة: «لا»، للمرسوم الحكومي الخاص بالطلقات الثلاث

بقلم: **مساعد التحرير**

شدَّد رئيس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم/ ديوبند النكيرَ على إصدار الحكومة المركزية مرسومًا خاصًّا بفرض الحظر على الطلقات الثلاث في مجلس واحد، وعلى موافقة مجلس الوزراء عليه،واعتبره تدخلًا صارخًا في الشؤون الدينية للمسلمين، وقال فضيلته:«إنها خطوة تعارض روح الدستور الهندي».

وأضاف فضيلته: «إن الدستور الهندي يخوِّل لنا الحرية في الشؤون الدينية. والطلاق والنكاح من الشؤون الدينية البحتة، ولن نقبل التدخل من أي حكومة فيها، ونعتبر خطوة الحكومة هذه مناوئة لروح الدستور الهندي».

مسؤولون في قوات شرطة القطارات يزورون الجامعة

زار وفد من آر بي إيف بقيادة أحد مسؤولي قوات شرطة القطارات دارالعلوم/ديوبند، واجتمع برئيس الجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني، وغيره من مسؤولي الجامعة. وتجاذب الوفد مع مسؤولي الجامعة أطراف الحديث حول وضع لائحة عمل أمنية فيما يخص عودة الطلاب إلى بيوتهم بالقطارات بمناسبة عطلة عيد الأضحى، التي تصادف مسيرات طقوس هندوسية دينية.

تقول التفاصيل: إن «بي كي سينغ»- ضابط في قوات شرطة القطارات قاد وفدًا مكونًا من أربعة أشخاص من مصلحة القطارات. و أفاد «سينغ» المسؤولين بأن مسيرات الطقوس الهندوسية مستمرة حتى ٢١/ من أغسطس بالباصات والقطارات. و يصادف ذلك عطلة عيد الأضحى في المدارس الإسلامية، ويتوجه الطلاب إلى بيوتهم اعتبارًا من ٢٣/أغسطس أو قبله بالباصات والقطارات.

وأضاف «سينغ»: إنه مسؤول عن الطريق الممتد من «سهارن فور» إلى «دوراله»، و يرغب أن توضع خطة سفر للطلاب إلى بيوتهم، خشية أن يحدث ما يسوء أحدًا.

وردَّ عليه مسؤولو الجامعة قائلين: يهمنا جميعًا أن يسافر الطلاب آمنين في طريقهم إلى بيوتهم، وأكدوا للوفد أنهم يحثون الطلاب على أن يسافروا بمناسبة عطلة عيد الأضحى بالقطارات التي لايركبها أصحاب المسيرات إلا قليلا، و تتم رحلاتهم آمنة مطمئنة، ولايتعرضوا لما لايحمد عقباه.

ثم تجول الوفد في مختلف مرافق الجامعة، فمرَّ على المكاتب الإدارية ثم عرَّج على مكتبة الجامعة العامرة بالكتب والمخطوطات النوادر، ولفتت انتباه الوفد وفرةُ المصادر الخاصة بمختلف الأديان والفرق العالمية بما فيها كتب الديانة الهندوسية، ثم مرَّ على المباني العتيقة والحديثة في الجامعة، ثم توجه إلى جامع رشيد العملاق الذي يعدّ نموذجًا هندسيًا مطعمًا بالطراز المغولي، والذي أشرف على بنائه فضيلة الشيخ عبد الخالق المدارسي وكيل الجامعة، ثم زار الوفد مبنى المكتبة المركزية قيد اللمسة الأخيرة. ويحتوي هذا المبنى على سبعة أدوار، والدور الأرضي منه عبارة عن قاعة الاختبارات، والدوران الأول والثاني عن قاعة دارالحديث، والأدوار الأربعة المتبقية تشغلها المكتبة المركزية.

وأعرب الوفد في نهاية الجولة عن غاية فرحه وسروره وعن الطمانينة التي لمسها في جنبات الجامعة وعن رغبته في زيارتها مرة أخرى وقضاء وقت أطول.

بقية «إشراقة» المنشورة على ص ٥٦

لها هاشّةً باشّةً بابتسامة عريضة كأنها وَجَدَتْ أثمنَ شيء في الحياة قد لا تجد مثلَه فيما بعدُ. كانت تُسْرِع إليه لدى عودته إلى البيت من أي مكان بالماء والمنديل أو المِنْشَفَة، فكانت تَغْسِل رِجْلَيْه، وتَنْشُفُهُمَا أي تُجَفِّفُهما بالمِنْشَفَة، ويَضْغُطُها تخفيفًا للتعب والألم الذي قد يصيبهما من المشي أو القيام الزائد ولاسيما في الكهولة والشيخوخة. وكانا يتصاحبان دائمًا في أوقات الفراغ وفُرَص الانتهاء من المسؤوليّات العائليّة أوالحياتيّة. وكنتُ أجدهما دائمًا يتشاوران في كل دقيق وجليل من الأمور، وكان كلٌّ منهما يطلب رضا الآخر، وما وجدتُهما قطّ يَتَخَاصَمَانِ أو يرفع أحدُهما صوتَه على الآخر. كنتُ في طفولتي الواعية – التي لم أُدْرِكْ فيها بعدُ معنىَ الزواج والزوجية – أشاهدهما في هذه الحالة السعيدة، فأقول في نفسي: إنهما سعيدان زَوْجَيْن وإِنْسَانَيْن.

لأني كنتُ على عكسهما وجدتُ عائلةً أخرى تُسَاكِن جِوَارَنا، كان عُمْدَتُها – العائلة – يتخاصم دائمًا مع زوجته، التي كانت لا تُكِنُّ له احترامًا، ولا تُلْقِي إليه بالًا، ولا تَسْمَع له كلمةً، ولا تُلَبِّي له إشارةً، ولا تطيع له أمرًا، ولا تُقَدِّم له خدمةً، ولا تبدو له زوجَةً، ولا تُخْضِع له قولًا، ولا تمارس له تمريضًا إذا مَرِضَ، ولا تُوَفِّرُ له راحةً إذا تَعِبَ، ولا تُقَدِّم له هدوءًا إذا انْزَعَجَ، ولا تُرَاعِي أوقاتَ منامه وطعامه، ولا تُوَاسِيه إذا حَزِنَ، ولا تُشَارِكه إذا سُرَّ، ولا تُشَاطِره الرأيَ إذا احتاج إلى التشاور ومُبَادَلَة الرأي ومناقشة الفكرة.

* * *

كانت من قريباتي فتاةٌ كانت مثالًا للتواضع والصبر والتحمّل والحلم، كانت أُمُّها غضوبًا تثور لأدنى سبب، فتنالها بالزجر والتوبيخ إذا صدر منها ذنبٌ عاديٌّ لا يدعو لعتاب فضلًا عن مؤاخذة؛ ولكنها دائمًا كانت تبتسم، وتَتَلَقَّى الزجرَ والملامَ منها بأسلوب جميل يَشِفّ عن رضاها الكامل عن أمها، وعن اعتبار عتابها تعليمًا لآداب الحياة، وتفَضُّلًا منها عليها. وبذلك عَوَّدَت نفسَها الصبرَ على المكاره، والاستجابةَ لتوجيهات الكبير، وإطاعةَ ولي الأمر، والتحمّلَ لدى حدوث كل ما لا يُسِيغُه الطبعُ أو تَتَأَذَّى منه النفسُ، مما نَفَعَها كثيرًا عند ما تَمَّ زَوَاجُها بشابٍّ في قرية مجاورة؛ حيث إنها تَمَلَّكَتْ على عائلة زوجها عقولَها، واسْتَعْبَدَتْ نفوسَها، واستأسرتْ أعضاءَها الصغارَ والكبارَ بحسن أخلاقها، وسرعة التلقّي للأوامر، وجمال التأدّب معهم في جميع تصرفاتها معهم، فكانوا يحبونها حُبًّا يفوق حُبَّهم لبناتهم اللّاتي لم يَكُنَّ يُسَاوِينَها في مزاياها الشخصيّة الفريدة.

ولم تُمْهِلْهَا الحياةُ بعد الزَّوَاج طويلًا، وإنما تَوَفَّاها اللهُ بعد زَوَاجها بسنتين فقط، فبكتها عائلةُ زوجها بكاءً أشدَّ من بكاء والديها وأشقائها

وشـقيقاتها عليهـا. بعـد موتهـا بـسنوات اتَّفَـقَ لي أن زرتُ قريـةَ زوجهـا لحاجة دَعَتْنِي لزيارتهـا، وخـلالَ مـروري بالـشارع الـذي يقـع بجنبـه منـزل الـزوج فَاجَأني والدُ الزوج بالسلام عليّ بصوته الجهوري، فرددتُ عليه السلامَ، واستطلعتُه أخبارَه بعد موت زوجة ابنه، فأجهش بالبكاء كالطفل الذي يَنْزِع من يمناه الغرابُ كسرةً من الخبز أو قطعةً من الحَلْوَىٰ، فيبكي صارخًا ويستمرّ في البكاء.

وطَمْأَنْتُـه قـائلاً: إنهـا كانـت وديعـةً مـن الله اسْتَرَدَّها في الأجل المقدر لديه، وهذه الدنيا تتقلب بالنـاس، واللهُ يختبرنـا بالـسَّرَّاء والـضَّرَّاء، فَاصْـبِرْ واحْتَسِبْ؛ ولكنه ظَلَّ يبكي ما دمتُ لديه، ويقول: إني ما رأيتُ ولا سمعت بمثلها في هذه الدنيا، إنها وَرَدَتْ منـزلي إثـر الـزَّوَاج فغَمَرَتْـه بالبركـة والهنـاء والرفاهية، وماتت فتركتنا بائسين تُعَسَاء مُتْرِبِين. كم أتمنـى أن يَمُـنّ الله بفـضله عـلى جميـع العوائـل والبيوتـات المسلمة ببنات يُضَارِعْنَها ولـو قليلًا في صـفاتها الـساميات التـي كانـت تـتحلّى بهـا والتـي حَوَّلَتْها دُرَّةً يتيمةً في قلادة الدهر.

قلـتُ لـه: إن المـوتَ لا يُمْهِـل مثلَهـا طـويلًا، ويعتامهـا – يختارهـا – عـاجلًا، وقـد قـال الـشاعر الجاهلي طرفة بن العبد (٥٤٣-٥٦٩م)

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَـةَ مَـالِ الْفَـاحِشِ الْمُتَـشَدِّدِ

قلتُ له: إن الله سيثيبك وأسرتَك موفورًا على هـذا المـصاب العظـيم والحـزن المُمِضّ في عاجلـك وآجلك؛ لأن المؤمن ما يصاب بمصيبة، إلّا ويجازيه الله بها جزاءً يليق به تعالى وتَقَدَّسَ.

وفارقتُـه وهـو يبكـي وعليـه آثـارٌ عميقـةٌ مـن الحزن والأسف اللـذين يساكنان داخلَه. وقلتُ في نفسي: لـو كانـت كلُّ البنات مثلَ فلانـةَ في أخلاقها الزوجيـة لمـا صـارت لهـن بيـوتُ أزواجهـن جحيـمًا يـشكونها دائـمًا، حتـى استقرّ في الأذهـان أن عوائـل الأزواج لايمكـن أن تُحِبَّ الزوجـاتِ والعـرائسَ إلّا إذا حلّت الساعةُ وطلعتِ الشمسُ من مغربها.

على حين أن الـذنبَ لا يعـود كلُّه إلى عـائلات الأزواج، وإنـما يعـود كذلك إلى الزوجـات الـلاتي لا يَتَدَرَّبْن في بيوت آبائهن قبل الزواج على آداب الحياة الزوجيـة، والمبـادئ العامّـة التـي تقتـضيها مُعَايَـشَةُ الحياة، والأخلاق الإنسانية العامّة التي إذا الْتَزَمَتْها الزوجـاتُ، كانـت حيـاتُهن الزوجيـة نعـيمًا يـدوم، وخيرًا لا يزول، وحسنةً تبقى بعد الموت.

* * *

والصفاتُ التي لابُدَّ منها للزوجة لتكون مثاليّةً عـلى رأسـها حـسن الأخـلاق، إنـه جِمَـاعُ الـصفات الإنسانيّة، كُلُّ مَنْ تَقَيَّدَ به كان محبوبًا مقبولًا مطلوبًا لدى الناس وربّ الناس، ودخل به الجنةَ، وتَحَبَّبَ به إلى الله، وأَحَبَّـه الرسـولُ –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ–، وثَقُـلَ بـه ميزانُه يوم القيامة، وتَضَاعَفَ به أجرُه، وكان هو خيرَ أعماله، ويزيد في عمره ويعمرالكونَ، ويَكْمُلُ به إيمانُه.

فقال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُه» (أبوداود:٤٨٠٠؛ والبيهقي: ٤٣٢٦).

وسئل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكثر ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ، فقال: تقوى الله وحُسْنُ الخُلُقِ» (الترمذي: ٢٠٠٤؛ وأحمد:٩٦٩٦).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ عبادِ الله إلى الله أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». (الحاكم:٨٢١٤؛ والطبراني في الأوسط:٦٣٨٠).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من أَحَبِّكم إليّ وأَقْرَبِكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا» (الترمذي:٢٠١٨).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الرجل ليُدْرِك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار» (أبوداود:٤٧٩٨؛ وأحمد:٢٤٣٥٥).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أباذرّ! ألا أَدُلُّك على خصلتين هما أَخَفُّ على الظهر، وأَثْقَلُ في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسُ محمد بيده، ما عَمِلَ الخلائقُ بمثلهما» (أبو يعلى:٣٢٩٨؛ والطبراني: ٧١٠٣).

وقال ﷺ: «حُسْنُ الخلقِ وحُسْنُ الجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ ويزيدان في الأعمار» (أحمد: ٢٥٢٩٨).

وعن أبي هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أن النبي –ﷺ– قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» (الترمذي:١١٦٢؛ وأحمد: ٧٤٠٢)

إن المرأةَ ذاتَ الخُلُقِ الحَسَنِ تَكْسِب قلبَ زوجها وتَأْسِرُ قلوبَ أعضاء عائلته جميعًا، وتُصْبِح محبوبةً لديهم جميعًا. إن المرأةَ حسنةَ الأخلاق تصبر على الضرَّاء والأوضاع القاسية، وتُقَاسِمُها أفرادَ عائلة الزوج، وتُشَارِكُهم في الأفراح والمسرّات، وتُشَاطِرُهم الآلامَ والأحزانَ؛ ثم إنها تَتَأَدَّب مع الكل بمن فيهم الزوجُ تَأَدُّبًا لا تعرفه غيرها من الزوجات اللاتي يتجردن من حسن الخلق ويَتَرَبَّيْنَ على الجهل بالآداب الإسلامية. إنّها تتعامل مع جميع القضايا برحابة الصدر، ورضا القلب، وسعة الخلق، والثقة بالله، والاعتداد بالنفس، والتوكل على ربّها؛ فهي تبدو دائمًا راضيةً مسرورةً، مرتاحةً إلى كل أحد تُعَايِشُه في العائلة، وتُؤَدِّي كلَّ مسؤوليّة صادرةً عن طواعيةٍ لا حدودَ لها.

إن تَوَفَّرَ لها الرخاءُ والثراءُ والرفاهيةُ وأنواعُ التسهيلات، شكرتِ اللهَ، وأَثْنَتْ على من تَسَبَّبَ فيها بجدّه واحتياله وبكد يمينه وعرق جبينه، وإن وَاجَهَتِ البؤسَ والشقاءَ وشُحَّ الحوائج، وقلةَ الوسائل، لَاذَتْ بالصبر، ولَجَأَتْ إلى القناعة، وتَعَامَلَتْ مع العيش بما تقتضيه الظروفُ من الاقتصاد والتَّقَشُّف، والتَّكَيُّف مع حالة الشَّظَف.

البنتُ التي تَتَعَلَّم لدى والديها كيف تُرْضِي

زوجَها بعد زَوَاجِها، وكيف تُقِنْع أعضاءَ عائلته، وكيف تكون حُلْوَةً في عيونهم، تعيش الحياةَ الزوجيّةَ عن نجاح وسعادة وارتياح، ولا تُوَاجِه في رحلة العيش كلّها ما يُعَكِّرُ صَفوَه – العيش – ولا تتعرض لفشل أو إخفاق في مباراة الحياة الطويلة التي لاتكون ساحتُها دائمًا مُمَهَّدَةً لصالحها؛ بل كثيرًا ما تعترضها النِّهادُ والْوِهَادُ.

* * *

البنتُ التي تَتَشَرَّب لدى والديها الطاعةَ والانقيادَ، تَتبَوَّأُ مقعدَها في أعماق قلب الزوج وأعضاء عائلته كلهم بسهولة يَتَعَجَّبُ منها الجميْع؛ لأن الطاعةَ والانقيادَ سِلاَحٌ أَمْضَىٰ في معركة الحياة، من أمسك بهما كان الانتصارُ قرينَه لا مَحَالَةَ، ولم يقدر أيُّ جيش على كَسْرِه وهزيمتِه مهما كان بارعًا فريدًا في خوض الحرب، وإخضاع الخصم، وكسب المعركة.

من ثم أوصتِ العربُ أن تُتَزَوَّجَ من النساء من تكون «**فتاةَ أبيها**» أي التي تَرَبَّتْ وسط علاقة مُقَرَّبَة بأبيها، وخدمته في شؤون حياته، باعتباره الرجلَ المربيَ الأوّلَ الأمثلَ النموذجَ في حياتها، فتَسَقَّطَتْ منه الولاءَ والقيمَ والأخلاقَ التي تَبَنَّتْها لتصدر عنها في حياتها الزوجية وتُطَبِّقَها عليها بدقة متناهية، فتنجح في تكوين عائلة مثاليّة، وتخريج أولاد صالحين، وترتيب البيت، وتنظيف وتنظيم وتنضيد كل أثاث ورياش فيه، مما يُضْفِي مسحاتٍ جماليّةً ساحرةً على منظر البيت، تُدْخِل سرورًا غامرًا على أهله وعلى كل من يزورهم من الجيران والأقارب والضيوف.

وأن تُتَزَوَّجَ من الفتيات من تكون «**الشقيقة الكبرى**» لأنّها قد أَمْضَتْ مُعْظَمَ حياتها في رعاية أشقائها الصغار وشقيقاتها الصغيرات؛ فتَعَلَّمَتْ كيف تدير العائلةَ، وتُرَبِّي الأولادَ، وتَكُونَ أمًّا صالحةً في المستقبل، تُتْقِن تخريجَ الأولاد على صالح الأخلاق وكريم العادات، وتُوَزِّع الحبَّ والانسجام والتناغم وتوافقَ الآراء بين أفراد الأسرة.

وأن تُتَزَوَّجَ «**المرأةُ القويّةُ**» ذاتُ التجارب المختمرة، التي أُتِيحَ لها أن تزورَ وتسافر عددًا من الأمكنة والبلدان بصحبة والديها أو محارمها، فنضج وعيُها، واختمرت مرئيّاتُها، وتَسَدَّدَتْ أفكارها، فهي تختلف – طبعًا – عن غيرها من النساء اللاتي لم يُتَحْ لهن أن يُمَارِسْنَ مثلَ هذا النشاط، وأن يَهْتَمِمْنَ بتلقّي الثقافة والعلم وممارسة الدراسة والتفكير؛ لأن مثل هذه المرأة المثقفة تجعل حياة زوجها وحياة عائلته – إذا كانت مُمَدَّةً بالصفات الأخرى اللازمة التي ذُكِرَتْ في السطور الماضية – سهلةً سعيدةً حُلْوَةً مُجَرَّدَةً من كل كدورة، ومُحَلَّاة بكل صفاء وعذوبة وخير.

وأن تُتَزَوَّجَ «**المرأةُ الطَّمُوحُ**» لأنها تكون لزوجها عونًا كبيرًا على تحقيق الإنجازات، وإحراز الانتصارات، والسير قُدُمًا إلى القيام بمعالي الأمور، بماتتمتع به من صفات الطموح، ورؤية الأحلام

الكبيرة اللذيدة، وتبنّي الأهداف السامية، والتطلع إلى المستقبل الواعد المُشْرِق، وبالتالي إنها تَشْحَذ قدراتِ زوجِها على الإنتاج والتوصّل إلى الأهداف.

وأن تُتَزَوَّج من البنات من تكون «**خفيفة الروح**» مَرِحَةً مبتسمةً، طَلْقَةَ الوجهِ، ضاحكةَ الثغرِ، مُنْفَتِحَةً هَاشَّةً بَاشَّةً، كبيرةَ القلب، واسعةَ الصدر، تَعَوَّدَت أَن تجعل الحياةَ فنًّا سهلًا جدًّا، ولم تعرف أن تجعلها قضيةً شائكةً ومُشْكِلَةً مُعَقَّدَة، وأن تجعلها سعيدة من كل ناحية، ولا تجعلها مَأْسَاوِيَّةً من أيِّ جانب، فهي تقدر على رفع معنويّات زوجها، وتعين أفرادَ عائلته أن يتناولوا الحياةَ كشُوكُولَاتَةٍ، لا كَشَوْكَةٍ في اليد، وغُصّة في الحلق، وسُمّ في الجسم، وألم مُمِضّ في الروح. إنها أَنْسَبُ للبقاء مع زوجها طبيبةً مُمَرِّضَةً مُنْعِشَةً مُجَدِّدَة لروحه، ومَعَالِجَةً لجسمه، ومُثْقِبَةً لرأيه، ورافعةً لهِمَّتِه في جميع محطّات الحياة.

إن الزوجة بسلوكها الجميل وصنيعها الحكيم قد تجعل الزوجَ يَصِحُّ إذا كان مريضًا، ويُسَرُّ إذا كان حزينًا، ويُوسِرُ إذا كان مُعْسِرًا، وينتعش إذا كان تَعْبَانًا، ويَسْعَد بمعنى الكلمة إذا كان شقيًّا، ويَرْفُهُ إذا كان بائسًا. يجب أن تكون الزوجة رفيقةً مُوَاسِيَةً حَنُونًا رَؤُوفًا شَفُوقًا عطوفًا، ولا يجوز أن تكون جافية جائرة عاتية مُمِضَّة تَنْقُض الجروحَ وتُعَمِّق القروحَ.

* * *

سمعتُ عددًا من الناس يشكون زوجاتهم قائلين: إنهم كانوا أَصِحَّاءَ أقوياء يعيشون وضعًا طبيعيًّا، ويتقلبون في نعيم، ولم يكن في حياتهم ما يُزْعِج أو يُرْبك؛ ولكنهم منذ أن تزوّجوا صاروا مَرْضَىٰ مُحَطَّمِين، لا يهنأ لهم عيش، ولا يطيب لهم طعام ولا شراب؛ وقد عَزَّتْ عليهم الحياةُ، وصارت عليهم ويلًا؛ لأن زوجاتهم أَزْعَجْنَهم من كلِّ جهة، ويُعَاكِسْنَهم من كلِّ ناحية، ويُضَادِدْنَهم بكل مُمَارَسَاتِهِنَّ في الحياة، لا يَقْنَعْنَ بالميسور الموجود، ويَتَصَدَّيْن للمعسور المفقود، لا يُطِعْن أمرًا، ولا يَصْبِرْنَ على شِدَّة، ولا يَشْكُرْنَ رَخَاءً، ولا يُقَدِّرْن نعمةً، يذكرن ما كان عند والديهن مَع قلته ويَحْنِنَّ إليه، ولا يذكرن ما يَنْعَمْن فيه من اللذائذ عندنا على كثرته، إذا قَدَّمْن خدمةً يَمْنُنَّ بها علينا، ولا يُعْرِنَ بالًا لما نُقَدِّم لهن من الضروريّات والكماليّات وما يطلبن منا من الأشياء التي لا حدَّ لها ولا عَدَّ؛ لأن مَطَالِبَهُنَّ تتزايد وتتواصل. ثم إنهن يَتَقَلَّلْنَ ما في بُيُوتنا ويَتَكَثَّرْنَ ما في بيوت الجارات، ويَرْتَخِصْنَ كلَّ ما نشتري ونقتني، ويَسْتَغْلِينَ ما عند غيرنا من الأثاث والحلي والأواني، حتى المنازل وما تُزَوَّد به من الرِّياش.

هذه شكاوى عَامَّةٌ يُبْدِيها الأزواجُ هذه الأيّامَ نحو زوجاتهم؛ وهي في الواقع مما يُحَوِّل الحياةَ الزوجيّةَ نارًا تَتَلَظَّىٰ، ويسلبها خيرَها وسعادتَها، ويجعلها عبارةً عن القلق والبؤس والشقاء، ويُصَيِّر كلَّ نعمة نقمةً، وكلَّ راحة عذابًا، ويَتَمَنَّى المرء في

هذا الوضع المُتَأَزِّم أن يموت حتى يستريح مما يعاني من التعقيدات التي لايطيقها.

من ثم منعتِ العربُ من الزَّوَاج بالنساء اللاتي يُسَبِّبن للأزواج المشاكلَ المشار إليها وغيرها من المُزْعِجَات والمُنَغِّصَات،والمُكَدِّرَات والمُعَكِّرَات، فقالوا: يجب اجتنابُ الزَّوَاج بالنساء الآتي ذكرُهن:

«الحَنَّانـــة»: وهي التي تكون دائمًا في حالةِ الحنين إلى بيت والديها، ولا يَهُمُّهَا ما يَوَدُّه الزوجُ من الاستقرار، وما يَمُسُّه من الحاجات العاجلة التي لاتتحقق إلّا عن طريقها هي، ثم إن تَرَدُّدَها المُتَّصِلَ على بيت والديها يُخِلّ بالحياة الزوجية ومُقْتَضَيَاتِها بنحو عامّ. وقيل: إن «الحنّانة» هي المرأة التي تَحِنّ دائمًا إلى زوج آخر، ولا تَرْضَى بزوجها الحاليّ والوضع الذي تعيشه معه، وتقارن بشكل مُتَّصِلٍ بنيه وبين غيره من الرجال، وتُفَضِّلهم عليه، وتُشَكِّل بذلك صداعَ رأس له لا ينتهي. وقيل: إن «الحنانة» هي المرأة التي تَحِنُّ إلى ولد أو أولاد لها من غيره من الزوج الذي كان قد تَزَوَّجَتْه فمات عنها أو طَلَّقها.

إن «الحنانة» بجميع هذه التفسيرات تُشَكِّل أذىً شديدًا لزوجها؛ من ثم أوصتِ العربُ بالامتناع عنها واجتناب الزَّوَاج بها.

«المَنَّانَـــة»: وهي التي تُكْثِر من المنّ على ما فعلت لزوجها من المعروف، وتُقَدِّم له من الخدمات التي هي فرض عليها من حيث كونها زوجة وكونه زوجًا لها. وقيل: هي المرأة التي جاءت من عند والديها بالشيء الكثير من الجهاز، فهي دائمًا تَمُنُّ عليه به، وتقول: قد أَسْدَىٰ إِلَيَّ والدايَ هذا القدرَ الكبيرَ من الأثاث والحُلِيِّ والمَلَابِسِ وأنواعِ الْأَمْتِعَة التي تنفعنا في تنعيم الحياة وترفيهها؛ ولكنك – تخاطب زوجها – لا تدين لهما بشي، ولا تعترف بحسناتهما.

«الأَنَّانَـة»: التي تُكْثِر من الأنين والشكوى في كل ساعة بسبب أو بلا سبب، وتتظاهر دائما بالمرض، أوصداع الرأس، أو الألم في الرجل أواليد، أو الوجع في البطن، فتطلب دائمًا الدواءَ والعلاجَ، وتطالب الزوجَ باستدعاء الطبيب أو بالذهاب بها إلى العيادة الطبيَّة أو المُسْتَشْفَىٰ، فيَمَلُّ منها الزوجُ وأفرادُ عائلته؛ لأنها لا تكون مريضةً في الواقع، وإنما هي تَتَعَمَّدُ الإزعاجَ، لكي تظل العائلةُ في شغل شاغل عنها، لا يسائلها عن وظائفها البيتية و واجباتها العائلية التي هي المسؤولةُ الأولى عنها كزوجة عليها إدارةُ البيت وإرضاءُ الزَّوج وعائلتِه و وَالِدَيْه.

«الحَدَّاقَة»: هي المرأةُ التي تُرْهِقُ الزوجَ مَادِّيًّا؛ لأنها تَحْدِق وتَنْظُرَ دائمًا إلى ما في يد غيرها، وتُجْبِرُه على الإتيان بمثل ما هو عند جاراتها. إنها لا تَشْبَعُ أبدًا بماعندهاولدى زوجها، وإنما هي تَتَطَلَّع إلى ما يمتلكه الجيرانُ أو من تزوره من الجيران والمعارف وغيرهم، فتفرض على الزوج شراءَ مثل ما ترى عندهم من الأثاث والأمتعة التي تراها مثالًا في

الابتكار والجمال والطَّرافة والنُّدْرَة.

«البَرَّاقَـــة»: وهي المرأةُ التي تقضي مُعْظَم أوقاتها في صقل وجهها، وتزيينه، وتُمْضِي أغلبَ نهارها في الاهتمام بمظهرها بشكل مُفْرِط، لا لإسعاد زوجها، وإنما لإظهار مظهرها للناس، ولجعلهم يَغْتَرُّون بجمالها، حتى يَتَحَدَّثُوا عنها جميلةً مثاليةً قلّما يوجد نظيرها؛ فهي تتشاغل دائمًا عن جميع المسؤوليات؛ لأن اهتمامها الزائد بجسمها يجعلها لا تجد فرصةً لخدمة الزوج، وتربية الأولاد، وترتيب البيت، وتنظيف الأثاث والأواني وما في البيت من غيرهما. إن التَّزَيُّنَ والتَّجَمُّلَ لإرضاء الزوج شيءٌ مطلوبٌ ولازمٌ؛ لكن التوفيقَ بين ذلك وبين إعداد الطعام، وتصبين الثياب، وتفريغ الأوقات للاهتمام بالأولاد وخدمة والدي الزوج من الواجبات التي لامعدى للزوجة الصالحة المُؤَهَّلَة عنها؛ لكي تظلّ مُصَنَّفَةً بين «الزوجات الصالحات».

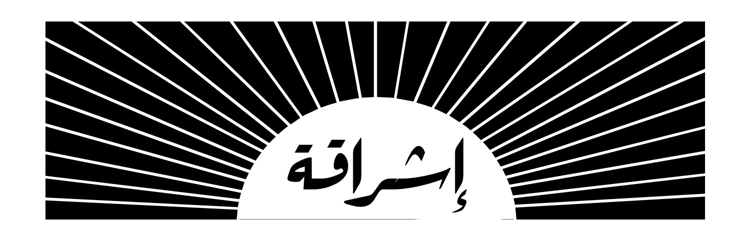
«الشَّدَّاقَة»: هي المرأة التي تَتَشَدَّقُ كثيرًا، وتتكلم دائمًا بصوت مرتفع، وتنطق بتوافه الأمور، فيَمَلُّ منها الجميع، فتُسَبِّب للزوج وعائلته مشاكل لا تُحْصَىٰ؛ لأن اللَّغَط كثير الغلط. إن المكثارَ والثرثارة من النساء التي لا تَعرف قيمةَ الزمن وأهميّةَ الفُرَص، لا تُؤَدِّي مسؤوليّتَها على الميعاد،وإنما تُؤَخِّرها دائمًا لما يأتي من الأوقات، فتَخْتَلُّ الأمورُ، وتَفْسُدُ الرواتبُ من الأعمال، وتَلْحَقُ الخسائر.

«الكَنَّانَة» هي المرأة التي تقول دائمًا: كان أبي كذا، وكان يقوم من الأعمال بكذا، وكانت مكانته كذا، وكان لديه من الثراء والمِمْتَلَكات كذا، أي تفتخر بما كان عند أبويها وأسلافها. من الأمر الحسن أن تَعْتَزَّ المرأةُ بوالديها إلى حدّ معقول مقبول؛ ولكنه من المرذول المرفوض غير المقبول أن تَصَكَّ أُذُنَيْ زوجها وعائلته بـ«كان أبي، وكان ...، وكان ...»؛ لأن ذلك يُشَكِّل أمرًا مُزْعِجًا مؤذيًا لجميع أفراد العائلة.

«عُشْبَةُ الدَّار»: هي المرأة التي تُحَوِّل البيتَ إلى قبر من العَفَن والنتانة وعدم النظافة وعدم الاهتمام بالترتيب والتنظيم، ونظافة نفسها وأولادها، فتكون مُهْمِلَة لدرجة غريبة، وكَسْلَىٰ لحدّ بعيد، ولا يَهُمُّهَا أمرُ النظافة، ولا تعرف هي لها قيمةً، على حين أنها كُلُّ شيء عند كلِّ إنسان مُهَذَّب مُتَحَضِّر؛ لأنه لايمكنه أن يعيش في غياب عنها؛ فهي كعشبة تنبت في البيت، وتُشَوِّه مَظْهَرَه، وتُقَبِّح واجهتَه، وتجعله تتفادى منه العيون.

إن المفاسد التي تتصف بها هذه النِّسْوَةُ اللاتي ذُكِرْنَ في السطور الماضية، إنما يَتَّصِفْنَ بها لأنهن كُلَّهُنَّ يَتَعَرَّيْن من مكارم الأخلاق، ولو تَحَلَّيْنَ بها لَتَخَلَّيْنَ من تلك المفاسد كلِّها، ولَكُنَّ زوجاتٍ رائعاتٍ، مِثَالِيَّاتٍ مطلوباتٍ.

(تحريرًا في الساعة الحادية عشرة والربع نهارًا من السبت: ٢٧/ذوالحجة ١٤٣٩هـ الموافق ٨/سبتمبر ٢٠١٨م).



بين زوجة و زوجة

الزوجاتُ لهن أنواعٌ لا تُحصَىٰ كالإنسان الذي لا يُعَدُّ نوعًا، ولهن تَدَخُّلٌ كبيرٌ في صحة الأزواج ومرضهم، وراحتهم وقلقهم، وسرورهم وحزنهم، ونجاحهم وفشلهم، وانتصارهم وانكسارهم، وارتفاع معنويّاتهم وانخفاضها.

إن الزوجةَ تُحَوِّل البيتَ جنّةً ونعيمًا، أو تجعله نارًا وجحيمًا، وتجعله خيرَ مكانٍ للعيش، وخيرَ عون للعمل، وخيرَ سند يستند إليه أهلُه في أداء المسؤوليات، والقيام بالواجبات، صادرين عن كل طمأنينة وسكينة، وراحة وهدوء، لا تُزْعِجُهم مشكلةٌ، ولا يُقْلِقهم تعقيدٌ، ولا تُرْبِكهم خالجةٌ، ولا يُخَالِجُهم هَمٌّ، وإنما تُوَاكِبُهُم دائمًا راحةُ الضمير، وسكينةُ القلب، والمسرةُ الدائمةُ المتصلةُ، التي تجعل حياتَهم سعيدةً بكل ما في الكلمة من معنى.

والزوجةَ قد تَجْعَلُ العائلةَ كلَّها في قَلَق دائم، ومشاكلَ وتعقيداتٍ لا تقبل علاجًا، وتجعلها – العائلةَ – تتمنى الموتَ، وتتخلص من الحياة، وتنجو من العذاب القاتل الذي فَرَضَتْه عليها، بموقفها المُسِيء، وسلوكها المُرْبِك، وتصرفاتها الخرقاء، التي لا تليق بزوجة تَعْرِف معنىً للآدمية، وتُلِمّ بمفهوم للإنسانية، فضلًا عن شعورها بمسؤوليتها كزوجة يرتاح إليها الزوجُ وعائلتُه، ويُسَرُّون بانتقائهم إيَّاها زوجةً لفتاهم الذي زَوَّجُوه إيَّاها تحدوهم أمانٍ معسولةٌ وآمالٌ حُلْوَةٌ، وتُحَدِّثهم نفوسُهم بأنها ستكون عوضًا عن بنتهم الوحيدة الكريمة التي وَدَّعُوها زوجةً لشابٍّ كانت هي مكتوبةً له في علم الله؛ بل قد تفوقها في الصفات الزوجيّة، والعادات الاجتماعية، والأخلاق العامة التي تَسْتَعْبِد بها الجاريةُ أفرادَ عائلة زوجها كلَّهم؛ ولكن آمالَهم كلَّها قد ضَاعَتْ، وأمانيها جميعَها قد تبَخَّرَتْ؛ لأنها تَأَتَّتْ على عكس ما أَمَّلُوا.

* * *

كانت في قريتي عجوزةٌ و زوجُها العجوزُ – وعهدي بهما منذ أن وعيتُ وبلغتُ الرشدَ أنهما كهلان ثم عجوزان – كلّما شاهدتُ تصرفاتهما كزوجين غَبَطْتُهما، في سعادتهما الزوجية. كان الزوج دائمًا مسرورًا، يبتسم لها ويَهُشُّ ويَبُشُّ ويبادر إلى السلام عليها كلما يعود إليها من مكان قريب أو بعيد، وكانت الزوجةُ تتلقّاها بمثلِ تَلَقّيه

(البقية على ص٤٩)

أبو أسامة نور
nooralamamini@gmail.com